النهج الأسمى

في شرح أسماء الله الحسنى

تأليف

محمد الحمود النجدي

المجلد الثالث

القسم الثاني

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

مكتبة الإمام الذهبي

الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فهذا القسم الثاني من كتابنا « النهج الأسْمى في شرح أسماء الله الحسنى» وهو الأسماء الحسنى الثابتة لله جل شأنه في حديث رسوله الأمين ﷺ ، شاء الله تعالى أن يتأخر عن القسم الأول هذه المدة ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، فنحمده عز وجل حمداً كثيراً طيبًا كما يحب ويرضى على ما وفّق ويَسَّر لكتابة هذا الجزء ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

والسنة هي المصدر الثاني الـذي يجب الرجوع إليه ، والتعويل عليه بعد كتاب الله عز وجل في هذا الباب وغيره من أبواب العقيدة والشـريعة ، قـال تعـالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

والحكمة : السُّنَّة.

وقال ﷺ : « **ألا إني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه...** »[1].

قال الإمام أحمد رحمه الله: « لا يُوصف الله إلا بما وَصَفَ به نفسه، أو وَصَفَه به رسول ﷺ ، لا يُتَجاوز القرآنُ والحديث»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ومن الإيمان بالله: الإيمانُ بما وَصَفَ به نفسَه في كتابه العزيز، وبما وَصَفَه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل»[3].

ثم قال بعد أن ذكر جملة طيبة من آيات الأسماء والصفات:

« ثم في سنَّة رسول الله ﷺ ، فالسُّنَّةُ تُفسِّر القرآن وتُبيِّنه، وتدلُّ عليه، وتُعبِّر عنه، وما وَصفَ الرسول ﷺ به ربَّه عز وجل من الأحاديث الصِّحاح، التي تلقَّاها أهلُ المعرفة بالقبول، وجَبَ الإيمان بها كذلك»[4].

فمن تمام بحثنا ذكر ما ورد في السُّنة من الأسماء الحسنى.

ومن نهجنا فيه أننا لا نُثبت فيه اسمًا من الأسماء الحسنى إلا بحديث صحيح أو حسن ، لأن أسماءَه تعالى توقيفيةٌ كما قررنا قواعد السلف في الأسماء في أول الكتاب ، والأحاديث الضعيفة لا تصلح لذلك الإثبات وقد وردت بعض الأسماء في أحاديث صحيحة ، لكني ترددت في إدخالها في أسماء الله تعالى ، خشية أن تكون قد أُريد بها الإخبار لا

(١) حديث صحيح ، رواه أحمد (٤/ ١٣١) ، وأبو داود في «السنة» (٤٦٠٤) عن حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عوف عن المقدام بن معد يكرب مرفوعًا به .
وإسناده صحيح
وله طرق أخرى عند الترمذي (٢٦٦٤ـ شاكر) ، وابن ماجة في المقدمة (١٢).
وشاهد عند الترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه في المقدمة (١٣) من حديث ابي رافع.

(٢) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٢٦) .

(٣) « الواسطية» (ص ٦٥) ط دار الهجرة .

(٤) المصدر السابق (ص١٦١) .

التسمية ، وباب الأخبار أوسع من باب الأسماء ، كما مرَّ معنا في أول الكتاب في كلام ابن القيم رحمه الله تعالى وغيره .

مثل : « الطَّبيب » و « المسَعِّر » وغيرهما .

وقد رجعت إلى مصادر جديدة في شرح الأسماء ، وهي مصادر حديثية كـ « غريب الحديث » لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم الهروي ، و«غريب الحديث » لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة خطيب السُّنَّة ، و « غريب الحديث » لأبي إسحاق الحربي ، و « النهاية في غريب الحديث والأثر » لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير وغيرها ، بالإضافة إلى المصادر التي اعتمدناها سابقًا في القسم الأول .

ونسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يجعل له القبول وأن يكون خالصا لوجهه سبحان وتعالى .

ولا يفوتني أن أشكر صاحب مكتبة الذهبي الأخ الفاضل / بدر الفيلكاوي على حرصه على هذا الكتاب وخروجه بهذه الحلة البهية بقسميه الأول والثاني فجزاه الله خيراً .

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التَّواب الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

محمد الحمود النَّجدي

في الكويت صبيحة الجمعة لسبع عشرة

خلت من ربيع الأول سنة ١٤١٧هـ .

الرَّفيقُ
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(١)

*** المعنى اللغوي :**

الرِّفقُ ضد العنف .

رفق بالأمر وله وعليه ، يَرفُق رِفْقا : لَطَفَ ، وكذلك : تَرفَّق به .

قال الليث : الرِّفق لين الجانب ولطافةُ الفعل .

والرفيق : المُرافِق ، والجمع : الرُّفقاء .

وقال ابن الأعرابي : رَفَقَ : انتظر .

والرفيق ضد الأخرق .

والرِّفق والمِرفَق والمَرفِقُ والمَرفَقُ : ما استُعين به ، وقد ترفَّق به وارتَفَق ، وفي التنزيل ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦][١].

*** ورود ه في الحديث الشريف :**

ورد في حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **يا عائشة ! إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ ، ويُعطي على الرِّفقِ مالايُعْطي على العُنْف ، ومالا يُعطي على مَا سِواه** »[٢].

---

(١) « اللسان » (٣/ ١٦٩٤ ـ ١٦٩٦) ، « الصحاح » (٤/ ١٤٨٢) .

(٢) رواه مسلم في « البر » (٤/ ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤) من طريق عمرة بنت عبد الرحمن عنها .

وله طرق أخرى من حديث علي بن أبي طالب وأنس وأبي هريرة وعبد الله بن مغفل رضي الله عنهم ، انظرها في «إبطال التأويلات» (٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨) للقاضي أبي يعلى بتحقيقنا.

وعنها رضي الله عنها قالت : لما مرضَ النبي ﷺ المرضَ الذي مات فيه جعل يقول : « **في الرفيق الأعلى** » وفي رواية : أنه رفع يده أو إصبعه ثم قال : « **في الرفيق الأعلى** » ثلاثًا ثم قَضَى ...[1].

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال القرطبي بعد أن بيَّن المعنى اللغوي للاسم : ولله تعالى من ذلك ما يليق بجلاله سبحانه .

فهو الرفيق : أي الكثير الرفق ، وهوِ اللِّين والتسهيل ، وضده العنف و التَّشديد و التَّصعيب .

وقد يجيء الرفق بمعنى : الإرفاق ، وهو إعطاء ما يرتفق به ، وهو قول أبي زيد .

---

(١) رواه البخاري في « المغازي » (٨/١٣٦ ، ١٣٨) ، ومسلم (٤/١٧٢٢) بلفظ : « مع الرفيق الأعلى » .

قال الحافظ ابن حجر : وزعم بعض المغاربة أنه يحتمل أن يراد بالرفيق الأعلى الله عز وجل لأنه من أسمائه ... ثم ذكر حديث مسلم السابق ... قال : والرفيق يحتمل أن يكون صفة ذات كالحكيم ، أو صفة فعل ، قال : ويحتمل أن يراد به حضرة القدس ، ويحتمل أن يراد به الجماعة المذكورن في آية النساء ، ومعنى كونهم رفيقًا : تعاونهم على طاعة الله ، وارتفاق بعضهم ببعض ، وهذا الثالث هو المعتمد ، وعليه اقتصر أكثر الشراح ، وقد غلَّط الأزهرى القول الأول ، ولا وجه لتغليطه من الجهة التي غلطه بها وهو قوله : «مع الرفيق » أو « في الرفيق » ، لأن تأويله على ما يليق بالله سائغ اهـ .

وفي « اللسان » (٣/١٦٩٦) : وقال شَمِرٌ في حديث عائشة : فوجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجرى ... قال أبو عدنان : قوله في الدعاء : « اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى » سمعت أبا الفهد الباهلي يقول : إنه تبارك وتعالى رَفِيقٌ وَفِيق ، فكان معناه : ألحقني بالرفيق أي بالله ، يقال : الله رفيق بعباده من الرفق والرَّأفة ، فهو فعيل بمعنى فاعل .

ثم ذكر قول أبي منصور الأزهري الذي أشار إليه الحافظ آنفًا .

وكلاهما صحيحٌ في حقِّ الله تعالى .

إذْ هو الميسر والمُسهِّل لأسباب الخير كلها ، والمعطي لها وأعظمها: تيسير القرآن للحفظ ، ولولا ما قال ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر: ١٧] ما قَدِرَ على حفظه أحد ، فلا تيسير إلا بتيسيره ، ولا منفعةَ إلا بإعطائه وتقديره .

وقد يجئ الرفق أيضًا بمعنى : التَّمهل في الأمور والتأني فيها ، يقال منه : وقفتُ الدابة ارفقها رفقًا ، إذا شَدَدت عَضُدها بحبلٍ لتبطئ في مشيها .

وعلى هذا يكون « الرفيق » في حق الله تعالى بمعنى « الحليم » فإنه لا يعجل بعقوبة العُصاة ليتوب مَن سَبَقَتْ له العناية ، ويَزداد إثمًا من سبقتْ له الشقاوة .

وقال الخطابي : قوله : « إن الله رفيق » معناه : ليس بعجول ، وإنما يعجل من يخاف الفوت ، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يعجل فيها (١).

وقال النووي : وأما قوله ﷺ : « إن الله رفيقٌ » ففيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى ووصفه برفيق . قال المازري : لا يُوصف الله سبحانه وتعالى إلا بما سمى به نفسه أو سمّاه به رسول الله ﷺ أو أجمعت الأمة عليه ، وأما ما لم يرد إذن في إطلاقه ، ولا ورد منعٌ في وصف الله تعالى به ففيه خلاف : منهم من قال يبقى على ما كان قبل ورود الشرع ، فلا يوصف بحل ولا حرمة ، ومنهم من منعه .

قال : وللأصوليين المتأخرين خلافٌ في تسمية الله تعالى بما ثبت

---

(١) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٤٢٩ ، أ ـ ب)

عن النبي ﷺ بخبر الآحاد ، فقال بعض حذاق الأشعرية : يجوز ، لأن خبر الواحد عنده يقتضي العمل ، وهذا عنده من باب العمليات لكنه يمنع إثبات أسمائه تعالى بالأقيسة الشرعية ، وإنْ كانت يعمل بها في المسائل الفقهية ، وقال بعض متأخريهم : يمنع ذلك ! فمن أجاز ذلك فَهِمَ مِن مسالك الصحابة قبولهم ذلك في مثل هذا ، ومَن منع لم يُسلم ذلك ، ولم يثبت عنده إجماعٌ فيه فبقي على المنع .

قال المازري : فإطلاق رفيق إن لم يثبت بغير هذا الحديث الآحاد ، جرى في جواز استعماله الخلاف الذي ذكرنا ، قال : ويحتمل أن يكون صفة فعل ، وهى : ما يخلقه الله تعالى من الرفق لعباده . هذا آخر كلام المازري .

قال النووي : والصحيح جواز تسمية الله تعالى رفيقًا وغيره مما ثبت بخبر الواحد ، وقد قدَّمنا هذا واضحًا في كتاب الإيمان في حديث « **إن الله جميل يحب الجمال** » في « باب تحريم الكبر » وذكرنا أنه اختيار إمام الحرمين [1].

وقال ابن القيم في « النونية » [2]:

وهو الرفيقُ يُحبُّ أهل الرفقِ يُعطيهم بالرِّفْقِ فوقَ أمَانِ

*** من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١- أن الله تعالى موصوف بالرفق ، وهو من صفاته ، إما صفةُ ذاتٍ

---

(١) مسلم بشرح النووي (١٦/١٤٥ ـ ١٤٦) . وما قاله النووي هو الحق الذي لا مرية في ، فإن التفريق في الاحتجاج بالمتواتر دون الآحاد في العقيدة ، بدعة اعتزالية لم يعرفها سلف الأمة رضوان الله عليهم .

(٢) « النونية » بشرح أحمد بن عيسى (٢/٢٢٩) .

أو صفة فعل ، وقد نقل إجماع الأمة على ذلك الإمام أبو يعلى الفراء ، وقال : لأنهم يقولون : يا رفيق ارفُقْ بنا في أحكامك [1].

٢- ورفقه سبحانه وتعالى بعباده يظهر في رأفته ورحمته بهم شرعًا وقدرًا ، وهو مالا يحصى ولا يعد [2].

٣- ومن رفقه سبحانه بعباده إمهاله للعصاه منهم ليتوبوا إليه ، ولو شاء لعاجلهم بالعقوبة ، لكنه رفق بهم وتأنى ، ليحصل لهم ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، فله الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا كما يحب ويرضى [3].

٤- وهو سبحانه وتعالى رفيق يحب الرفق وأهله ، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف ، قيل : من الثواب ، وقيل : يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضده [4].

وقد حث الرسول ﷺ على استعماله حتى مع الأعداء أحيانا ، وقد بوب الإمام البخاري في « صحيحه » : « باب الرفق في الأمر كلِّه » ، وأورد فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالـت : دخل رهطٌ من اليهـود على رسول الله ﷺ فقالوا : السَّامُ عليكم ، قالت عائشة : ففهِمتُها فقلت : وعليكم السَّامُ واللعنة ، قالت : فقال رسول الله ﷺ : « **مهلاً يا عائشة ، إنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمرِ كله** » ، فقلت : يا رسول الله ، أولم تسمعْ ماقالوا؟ قال رسول الله ﷺ : « **قد قلت وعليكم** » [5].

---

(١) « إبطال التأويلات لأخبار الصفات » (٢/ ٤٦٧) .

(٢) انظر مظاهر رحمته تعالى في « الرحمن ـ الرحيم » .

(٣) انظر الكلام على اسمه « الحليم » .

(٤) انظر « الفتح » (١٠/ ٤٤٩) .

(٥) المصدر السابق ، وانظر ما فيه من الفوائد الأخرى في « الاستئذان » (١١/ ٤٣).

وعنها أيضًا رضي الله عنها : عن النبي ﷺ قال : « **إنَّ الرفقَ لا يكون في شيء إلا زَانَه ، ولا يُنْزَعُ من شيءٍ إلا شَانَه** »(١).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ يُحْرَمِ الرفقَ يُحْرَمِ الخير** »(٢).

قال القرطبي : فينبغي لكل مسلم أن يكون رفيقًا في أموره ، وجميع أحواله ، غير عَجلٍ فيها ، فإن العَجَلة من الشيطان ، ولا تُفارِقُهُ الخيبةُ والخُسْران ، وقال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس : « **إنَّ فيك لخَصْلتين يُحبُّهما الله : الحِلْم والأناة** »(٣).

* * *

---

(١) رواه مسلم في « البر » (٢٠٠٤/٤) .

(٢) المصدر السابق (٢٠٠٣/٤) .

(٣) رواه مسلم في الإيمان (٤٩/١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

السُّبُّوح
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٢)

*** المعنى اللغوي :**

التسبيح : التنزيه .

قال الأزهري : وسبحان الله : معناه تنزيهًا لله من الصاحبة والولد .

وقيل : تنزيه الله تعالى عن كلِّ مالا ينبغي أن يُوصف به .

ونَصْبُهُ أنه في موضع فعلٍ على معنى تسبيحًا له ، تقول : سبَّحت الله تسبيحًا له ، أي : نَزَّهته تنزيها [١].

قال ثعلب : كلُّ اسم على « فعُّول » فهو مفتوح الأول ، إلا السُّبُّوح والقدوس فإن الضَّم فيهما أكثر .

وقال سيبويه : ليس في الكلام فُعُّول بواحدة [٢].

وقال الأزهري : وسائر الأسماء تجيء على فَعُّول ، مثل : سَفُّود وقَفُّور وقبور وما أشبهها .

قال : والفتح فيهما « أي السبوح والقدوس » أقيس ، والضم أكثر استعمالاً وهما من أبنية المبالغة والمراد بهما التنزيه [٣].

---

(١) « لسان العرب » (٣/ ١٩١٤) ، و« الصحاح » (١/ ٣٧٢) .

(٢) « الصحاح » (١/ ٣٧٢) .

(٣) « اللسان » (٣/ ١٩١٥) ، وانظر « النهاية » لابن الأثير (٢/ ٣٣٢) .

*** وروده في الحديث الشريف :**

ورد في حديث عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « **سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، ربُّ الملائكةِ والروح** »[1].

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال أبو إسحاق الزجاج : السُّبوح : الذي ينزه عن كل سوء[2].

وقال ابن سيده : سبوحٌ قدوس من صفة الله عز وجل ، لأنه يُسبَّح ويُقدَّس[3].

وقال الحليمي : السُّبوح : ومعناه المنزه عن المعائب ، والصفات التي تعتور المحدثين من ناحية الحدث ، والتسبيح : التنزيه[4].

وقال النووي : وقال ابن فارس والزَّبيدي وغيرهما : سبُّوحٌ هو الله عز وجل ، فالمراد بالسبُّوح القدُّوس : المُسبّح المُقدس ، فكأنه قال : مسبحٌ مقدس ربُّ الملائكة والروح ، ومعنى سبوح : المبرأ من النقائص والشريك ، وكل ما لا يليق بالإلهية ، وقدوس : المطهر من كل ما لا يليق بالخالق[5].

*** من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١- الله تبارك وتعالى منزه عن كلِّ عيب ونقص وسوء ، فله الكمال

---

(١) رواه مسلم في « الصلاة » (١/٣٥٣) ، وأبو داود (٨٧٢) ، والنسائي (٢/٢٢٤) .

(٢) « اللسان » (٣/١٩١٥) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) « المنهاج في شعب الإيمان » (١/١٩٧) وذكره في الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى ، ونقله البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٣٧) .

(٥) مسلم بشرح النووي (٤/٢٠٤ ـ ٢٠٥) .

المطلق سبحانه وتعالى [1].

٢- الله جل شأنه يسبحه من في السموات ومن في الأرض ، بمختلف اللغات ، وأنواع الأصوات ، قال سبحانه ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

قال أبو إسحاق الزجاج : قيل إن كلاً ما خلق الله يُسبِّح بحمده ، وإن صَرير السقف وصرير الباب من التسبيح ، فيكون على هذا الخطاب للمشركين وحدهم ﴿ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ وجائز أن يكون تسبيح هذه الأشياء بما الله به أعلمُ لا نفقهُ منه إلا ما عُلِّمناه .

قال : وقال قوم : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ أي ما من دابة إلا وفيه دليل أن الله عز وجل خالقه ، وأن خالقه حكيم مبرأ من الأسْواء، ولكنكم أيها الكفار لا تفقهون أثر الصنعة في هذه المخلوقات !

قال أبو إسحاق : وليس هذا بشيء لأن الذين خُوطبوا بهذا كانوا مُقرِّين أن الله خالقهم وخالق السماء والأرض ومن فيهن ، فكيف يجهلون الخِلْقة وهم عارفون بها ؟[2].

قال الأزهري : ومما يدلك على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيح تَعبَّدتْ به قولُ الله عز وجل للجبال ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ [سبا: ١٠] ومعنى ﴿ أَوِّبِي ﴾ : سبحي مع داود النهار كلَّه إلى الليل ، ولا يجوز أن يكون معنى أمر الله عز وجل للجبال بالتأويب إلا تعبدًا لها .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي

(١) انظر مبحث التنزيه عند أهل السنة في الكلام على القدوس .

(٢) « اللسان » (٣/ ١٩١٥) .

الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨] فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقهها عنها كما لا نفقه تسبيحها .

وكذلك قوله : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] ، وقد علم الله هبوطها من خشيته ولم يُعرِّفنا ذلك فنحن نؤمن بما أُعْلِمنا ، ولا ندعي بما لا نُكلَّف بأفهامنا من علم فعلها كيفيةً نحدُّها (١).

وهو كلام نفيس جار على مذهب السلف من إجراء النصوص على ظاهرها والبعد عن التأويل والتكلف المذمومين .

وقد ذهب إلى هذا ابن جرير الطبري رحمه الله ، فقال في تفسير ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ : وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده .

واستدل لصحة ذلك بما رواه جابر عن النبي ﷺ قال : « **ألا أخبركم بشيء أمر به نوحٌ ابنه ، إن نوحًا قال لابنه : يابني آمرك أن تقول : سبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة الخلق وتسبيح الحق ، وبها ترزق الخلق ، قال الله : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾** » (٢).

---

(١) المصدر السابق .

(٢) « تفسير ابن جرير » (١٥/ ٦٥) ، وفيه موسى بن عبيدة وهو الربذي وفيه ضعف .

وهو حديث صحيح ، فقد رواه أحمد (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠ ، ٢٢٥) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٥٤٨) ، والحاكم (١/ ٤٨ ـ ٤٩) وصححه وافقه الذهبي ، والبيهقي في «الأسماء» (ص ١٠٣) من حديث ابن عمرو ، وإسناده صحيح .

ورواه البزار (٣٠٦٩) من حديث ابن عمر ، وفيه عنعنة ابن إسحاق .

٣- كان الرسول ﷺ يذكر هذا الاسم في ركوعه وسجوده ، داعيًا ربه عز وجل به ، كما مر معنا في الحديث السابق .

* * *

الشَّافي
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٣)

*** المعنى اللغوي :**

الشِّفاء : البُرْءُ من المرض .

يقال : شفاهُ الله يَشفيه شِفاءً .

والشِّفاء أيضا : ما يُبْرئُ من المرض.

يقال : أشْفاهُ الله عَسَلاً ، إذا جعله له شفاءً ، حكاه أبو عبيدة.

واستَشْفى : طلب الشِّفاء ، ونال الشفاء أيضا [١].

*** وروده في الحديث الشريف :**

ورد في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : إن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا أو أُتيَ به إليه قال عليه الصلاة والسلام : « **أذْهب الباس ، ربَّ الناس ، اشْفِ وأنتَ الشافي، لاشفاءَ إلا شِفاؤُك ، شفاءً لايُغادِرُ سَقَما** » [٢].

---

(١) « اللسان » (٤/٢٢٩٤ ـ ٢٢٩٥) .

(٢) رواه البخاري في « المرضى » (١٠/١٣١ ، ٢٠٦ ، ٢١٠) ، ومسلم في « السلام » (٤/١٧٢٢).

قوله : « لا يغادر سقما » : أي لا يترك ، وفائدة التقييد بذلك أنه قد يحصل الشفاء من ذلك المرض فيخلفه مرضٌ آخر يتولد منه ، فكان يدعو له بالشفاء المطلق ، لا بمطلق الشفاء . « الفتح » (١٠/١٣١) .

وقد ورد في القرآن فعلاً ، في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠] .

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال الحليمي : قد يجوز أن يقال في الدعاء : يا شافي يا كافي ، لأن الله عز وجل يشفي الصدور عن الشُّبه والشكوك ، ومن الحسد والغلول ، والأبدان من الأمراض والآفات ، لا يقدر على ذلك غيره ، ولا يُدْعى بهذا الاسم سواه .

ومعنى الشفاء : رفع ما يُؤذي أو يؤلم من البدن [(١)].

*** من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١- الله تبارك اسمه هو الشافي الحقيقي لكل آفةوعاهة ومرض بدني أو نفسي ، فقوله ﷺ في الحديث « اشف أنت الشافي » دليل على أن الشافي على الإطلاق هو الله وحده جل شأنه .

قال القرطبي : فيجب على كل مكلف أن يعتقد ألا شافي على الإطلاق إلا الله وحده ، وقد بيَّن ذلك رسول الله ﷺ بقوله « لا شافي إلا أنت » فيعتقد الشفاء له وبه ومنه ، وأن الأدويةَ المستعملة لا تُوجب شفاءً، وإنما هي أسباب وأوساط يَخلق الله عندها فعله[(٢)] وهي الصحة

---

(١) « الأسماء » للبيهقي (ص ٩٠) .

(٢) هذا بناء على مذهب الأشاعرة ، فانهم أنكروا أن يكون شيء يؤثر في شيء ، وأنكروا « باء السببية » ! وقالوا : إن الأسباب علاقات لا موجبات ، فيقولون : إذا كسر الإنسان زجاجة فإنها ما انكسرت بكسره وإنما انكسرت عند كسره !

قالالشيخ محمد العثيمين حفظه الله تعالى: انقسم الناس في الأسباب إلى طرفين ووسط، =

التي لا يخلقها أحدٌ سواه فكيف ينسبها [1] إلى جمادٍ من الأدوية أو سواها ، ولو شاء ربُّك لخلق الشفاء دون سبب ، ولكن لما كانت الدنيا دار أسباب جرت السنة فيها بمقتضى الحكمة ، على تعليق الأحكام بالأسباب ، وإلى هذا أشار جبريل ﷺ وإياه أوضح بقوله لرسوله ﷺ : « بسم الله أرقيك ، اللهُ يشفيك » فبيّن أن الرقية منه ، وهي سببٌ لخلق الله وهو الشفاء [2].

٢ ـ فمنه تعالى شفاء النفوس من أسقامها ، والأبدان من أمراضها ، فأنزل القرآن العظيم شفاء لعباده ورحمة ، كما قال سبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ

= فطرف من الناس غلا في إثبات الأسباب حتى جعلها مؤثرة بنفسها وأنكر ما يخرج عن سنة الأسباب ، ومن الناس مَنْ فَرَّط فيها ولم يجعل لها أثرًا في مسبباتها ، وقال: إن المُسَبَّب يحدث عند السبب لا بالسبب ، وكلا القولين خطأ ، فإنَّ من المعلوم ـ بالحس والعقل ـ أن الحجر إذا رُميَ على زجاجة انكسرت به ، وان الورق إذا أُلقي في النار احترق بها ، ولا احدُ ينكر ذلك ، ومن قال : إنه احترق عند إلقائه في النار لا بالنار، أو أن الزجاجة انكسرت عند ملامسة الحجر لا بالحجر ! فقد أبعد النُّجعة ، ولكن نقول : إن الزجاجة انكسرت بالحجر ؛ لأن الله تعالى جعل هذه الصدمة سببًا للكسر ، والورقة احترقت بالنار، لأن الله جعل النار محرقة . ولهذا إذا أراد اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يتخلَّف المُسَبَّبُ عن السبب تخلَّف ، فها هو إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أُلقِيَ في النار العظيمة التي اضرمها قومه المكذبون له ليحرقوه فقال الله تعالى للنار : ﴿كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ فكانت بردًا وسلامًا عليه ولم يحترق بها ، وهذا دليلٌ على أن الله تعالى هو الذي يودع في الأسباب ما يجعلها مؤثرة . وأما من قال : إن الأسباب مؤثرة بذاتها ، وإنه لا يمكن أن يتخلَّف المسبَّب عن السبب فقوله ـ أيضًا ـ خطأ ، فإن هذا يستلزم إنكار خوارق العادات التي يجريها الله تعالى على غير الأسباب العادية ، ولا أحد عنده علم بالسمع أو عقل راجح إلا أنكر هذا القول . انتهى من « احكام من القرآن الكريم » (ص ١٧٥ ـ ١٧٦) .

(١) كلمة لم أستطع قراءتها لسواد في المصورة .

(٢) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٤٢٢ ب) .

الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال الإمام الطبري : يقول تعالى ذكره : وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاءٌ يُستشفى به من الجهل من الضلالة ، ويُبصَّرُ به من العمى ، للمؤمنين ، ورحمة لهم دون الكافرين به ، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله ، ويحلُّون حلاله ويحرِّمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة ، ويُنجيِّهم من عذابه ، فهو لهم رحمةٌ ونعمة من الله ، أنعم بها عليهم .

﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ يقول : ولا يزيد هذا الذي نُنزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خسارًا ، يقول : إهلاكًا ، لأنهم كلما نَزَل فيه أمرٌ من الله بشيء أو نهي عن شيء كفروا به ، فلم يأتمروا لأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه ، فزادهم ذلك خسارًا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار ، ورجْسًا إلى رجسهم قبل [١].

وأما الأبدان فإنه تعالى أنزل الداء وأنزل الدواء ، عَلِمه مَن علمه وجهله من جهله ، كما قال ﷺ : « ما أنزلَ اللهُ داءً إلا أنزلَ له شفاء » [٢].

وقال أيضًا : « لكلِّ داءٍ دواءٌ . فإذا أُصيبَ دواءُ الدَّاء برأ بإذن الله عز وجل » [٣].

وقال : « إن الله عز وجل لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاءً ، عَلِمه من عَلِمه، وجهله مَن جهله » [٤].

---

(١) « تفسير الطبري » (٥/ ٦٢) تهذيب بشار عواد وعصام فارس .

(٢) رواه البخاري في « الطب » (١٠/ ١٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم في « السلام » (٤/ ١٧٢٩) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٤) رواه أحمد (١/ ٣٧٧ ، ٤١٣ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٣) ، والحميدي (٩٠) ، وابن ماجه =

قال الحافظ ابن حجر بعد سياقه لطائفة من الأحاديث في الباب : وفي مجموع هذه الألفاظ ما يُعرف منه المراد بالإنزال في حديث الباب ، وهو : إنزال علم ذلك على لسان المَلَك للنبي ﷺ مثلاً ، أو عبَّر بالإنزال عن التقدير ، وفيها التقييد بالحلال فلا يجوز التداوي بالحرام .

وفي حديث جابر منها الإشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن ، وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجع ، بل ربما أحدث داءً آخر ، وفي حديث ابن مسعود الإشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد ، وفيها كلها إثبات الأسباب ، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وتقديره ، وأنها لا تنجع بذواتها بل بما قدَّره الله تعالى فيها ، وأن الدواء قد ينقلب داءً إذا قدَّر الله ذلك ، وإليه الإشارة بقوله في حديث جابر « بإذن الله » فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته .

والتداوي لا يُنافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب ، وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك [1].

* * *

= (٣٤٣٨) ، وابن حبان (٦٠٦٢) ، والحاكم (١٩٦/٤ـ ١٩٧) من طرق عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود به . وهو حديث صحيح .

(١) « الفتح » (١٣٥/١٠) .

الطَّيِّبُ

جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(٤)

*** المعنى اللغوي :**

الطَّيب خلاف الخبيث.

وتتسع معانيه فيقال : أرضٌ طيبة : للتي تصلح للنبات ، وريح طيبة: إذا كانت لينةً ليست بشديدةٍ ، وطُعْمةٌ طيبة : إذا كانت حلالاً ، وامرأةٌ طيبة : إذا كانت حَصَانًا عفيفة ، وكلمة طيبة : إذا لم يكن فيها مكروه ، وبلدة طيبة : أي آمنة كثيرة الخير ، ونكهة طيبة : إذا لم يكن فيها نتن ، ونفس طيبة : إذا كانت بما قُدِّر لها راضية .

وقد يرد الطَّيب بمعنى : الطَّاهر ، ومنه حديث علي رضي الله عنه قال : لما غسّل النبي ﷺ ذهب يَلْتمس منه ما يَلتمس من الميت فلم يجده ، فقال : بأبي الطَّيِّبُ ، طِبتَ حيًّا وطبت ميّتا »[1].

*** وروده في الحديث الشريف :**

ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« أيها الناسُ ، إنَّ الله طيِّبٌ ولا يَقْبلُ إلا طيبًا ، وإن الله أَمَرَ المؤمنين بما أمر به**

---

(١) حديث صحيح ، رواه ابن ماجه (١٤٦٧) .

وانظر : « الصحاح » (١/ ١٧٣) ، و« لسان العرب » (٤/ ٢٧٣١) ، و « النهاية في غريب الحديث » (٣/ ١٤٨) .

المرسلين ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] **وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** [البقرة: ١٧٢] **ثم ذكر الرجل يُطيلُ السفر أشعثَ أغبر ، يمدُّ يديه إلى السماء ، يا ربِّ يارب ومطعمُهُ حرام ، ومَشربه حرام ، ومَلبسه حرام وغُذِّي بالحرام ، فأنَّى يُستجاب لذلك »** [١].

*** المعنى في حق الله تعالى :**

قال القاضي عياض : الطيِّب في صفة الله تعالى بمعنى : المُنزَّه عن النقائص ، وهو بمعنى القدوس ، وأصل الطيب : الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث [٢].

وفي تحفة الأحوذي : ومعنى الحديث أنه تعالى منزهٌ عن العيوب ، فلا يَقبل ولا ينبغي أن يُتقرَّب إليه إلا بما يناسبه في هذا المعنى ، وهو خيار أموالكم الحلال [٣].

*** من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ـ إن الله تعالى يوصف بالطِّيبِ ، والتَّنزه عن الخُبث والنقائص والعيوب .

كما قدمنا في الكلام على القدوس .

٢ـ وأنه سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا الطيب ولا يصعد إليه من الأقوال والأعمال ، ولا ينبغي أن يتقرب إليه العباد إلا بالطيب من ذلك .

---

(١) رواه مسلم في « الزكاة » (٢/ ٧٠٣) .

(٢) « شرح مسلم » (٧/ ١٠٠) للنووي، وبنحوه في « إكمال إكمال المعلّم » للأبيّ (٣/ ٤٧٧).

(٣) (٨/ ٣٣٤) .

قال عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧] .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ تصدَّق بعَدْل تمرة من كسب طيب ـ ولا يقبل اللهُ إلا الطيب ـ فإن الله يتقبَّلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها كما يُربِّي أحدُكم فَلُوَّه ، حتى تكون مثل الجبل » [١].

فلا يقبل الله تعالى الصَّدقة بالحرام، لأنه تصرفٌ فيما لا يملك، فمن تصدَّق من ربا أو سرقة أو غلولٌ فإن الله تعالى لا يقبله ، كما قال ﷺ : « لا تُقبلُ صلاةٌ بغير طُهور ، ولا صدقةٌ من غُلُول » [٢].

وكذلك كل الأقوال والأعمال لا يقبل الله عز وجل منها إلا الطيب الصالح ، قال عز وجل : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] .

والكلم الطيب قيل هو : لا إله إلا الله ، وقيل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وقيل هو : القرآن .

والمختار أنه كل كلام هو ذكر الله تعالى ، أو هو لله سبحانه كالنصيحة والعلم [٣].

وفي حديث التشهد : « التحيَّاتُ لله والصَّلَوَاتُ والطَّيِّباتُ ... » [٤].

(١) رواه البخاري في « الزكاة » (٢٧٨/٣) ، وفي « التوحيد » (٤١٥/١٣) ، ومسلم في «الزكاة» (٧٠٢/٢) .

(٢) رواه مسلم في « الطهارة » (٢٠٤/١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . والغلول : الخيانة ، وأصله السرقة من مال الغنيمة قبل القسمة .

(٣) انظر : « روح المعاني » للألوسي (١٧٤/٢٢) .

(٤) رواه مسلم في « الصلاة » (٣٠١/١ ـ ٣٠٣) من حديث عبد الله رضي الله عنه .

أي : أن التحيات والصلوات والكلمات الطيبات مستحقةٌ لله تعالى ، ولا تصلح غيرها له سبحان وتعالى .

٣ـ وكذا الطَّيبون أهل الإيمان به عز وجل ومن اتبع رضوانه وعَمَر قلبه بمحبته ، فإنهم لا يُحبون إلا الطَّيب من القول ، ولا يتكلمون إلا بالحَسَن من الكلام ، كما قال الله تعالى في وصفهم : ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ [النور: ٢٦] .

قال مجاهد وابن جبير وأكثر المفسرين : المعنى : الكلماتُ الخبيثاتُ ـ من القول ـ للخبيثين من الرجال ، وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، وكذا الكلمات الطَّيبات من القول للطَّيبين من الناس، والطَّيبون من الناس للطيبات من القول [١].

وقيل المعنى : الخَبيثاتُ من النساء للخبيثين من الرجال ، وكذا الطَّيبات للطيبين [٢].

٤ ـ وأخبر عز وجل أنه يهدي أهل الجنة للكلمات الطيبة ، ويحفظ لسانهم عن الخبيث من القول ، فقال سبحانه : ﴿ **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ** ﴾ [الحج: ٢٤] .

فإنهم كما جاء في الحديث الصحيح : « **يُلْهمون التَّسبيحَ والتَّحميد**

---

(١) « تفسير القرطبي » (١٢/٢١١) ، وقال : قال النحاس في كتاب « معاني القرآن » : وهذا من أحسن ما قيل في هذه الآية .
ودلَّ على صحة هذا القول ﴿ أولئك مبرءون مما يقولون ﴾ أي عائشة وصفوان مما يقول الخبيثون والخبيثات .

(٢) المصدر السابق .

كما يُلهمون النَّفَس ».

وقد قال بعض المفسرين في قوله : ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي : القرآن ، وقيل : لا إله إلا الله ، وقيل : الأذكار المشروعة [(١)].

وهو لا ينافي الأول فإن الهداية لهذا : سَبَبٌ لدخول الجنة ، فإن الجنة لا يدخلها إلا من هداه الله تعالى للطيب من القول ، ولا إله إلا الله : مفتاح الجنة .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : ولما كان الشركُ أعظمَ الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل[(٢)] حرّم الجنة على أهله ، فلا تدخل الجنة نفسٌ مشركةٌ ، وإنما يدخلها أهلُ التوحيد ، فإن التوحيد هو مفتاح بابها ، فمن لم يكن معه مفتاح لم يُفتح له بابها ، وكذلك إنْ أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به ، وأسنان هذا المفتاح هي : الصلاة، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، فأي عبدٍ اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا من التوحيد ، وركَّب فيه أسنانًا من الأوامر ، جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا يفتح إلا به ، فلم يَعُقْه عن الفتح عائق ، اللهم إلا أن تكون له ذنوبٌ وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرُها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار ، فإنه

---

(١) انظر « تفسير ابن كثير » (٣/٢١٣) ، و « تفسير الطبري » (٥/٣٠٧) ط الرسالة .

(٢) ذكر أن الظلم ثلاثة دواوين :

أ ـ ديوانٌ لا يغفر الله منه شيئًا وهو الشرك .

ب ـ وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئًا وهو ظلم العباد بعضهم بعضا، فإن الله يستوفيه كله.

جـ ـ وديوان لا يعبأ الله به شيئًا ، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل .

يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها ، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده ، فلابدَّ من دخول النار ليخرج خبثه فيها ، ويتطهَّر من درنه ووسخه ثم يخرج منها ، فيدخل الجنة ، فإنها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢] وقال تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

فعقَّبَ دخلوها على الطيب بحرف « الفاء » الذي يُؤْذن بأنه سبب ، أي : بسبب طيبكم قيل لكم : ادخولها .

وأما النار ، فإنها دار الخُبث في الأقوال والأعمال ، والمآكل والمشارب ، ودار الخبيثين ، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيَرْكمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض ، ثم يجعله في جهنم مع أهله ، فليس فيها إلا خبيث .

ولما كان الناس ثلاث طبقات : طيِّب لا يشينه خبث ، وخبيث لا طِيب فيه ، وآخرون فيهم خُبثٌ وطِيبٌ ، كانت دورهم ثلاثة : دار الطِيب المحض ، ودار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تفنيان ، ودارٌ لمن معه خُبثٌ وطيب ، وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة ، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحدٌ ، فإنهم إذا عُذّبوا بقدر جزائهم أُخرجوا من النار فأُدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ، ودار الخُبث المحض [1].

---

(١) « الوابل الصَّيب من الكلم الطيب » (ص ٢٣ ـ ٢٤) ط دار البيان ١٣٩٩ هـ .

٥ ـ وقد وصف الله عز وجل منقلب المؤمنين في الآخرة بالطيب ، فحياتهم طيبة ، ومساكنهم طيبة ومطاعمهم ومشاربهم طيبة ، وذلك في غير ما آية من كتابه فقال سبحانه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وقال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ٢١] .

* * *

الجَميل
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٥)

*** المعنى اللغوي :**

الجمال : الحُسْنُ .

والجَمال : مصدر الجميل ، والفعل : جَمُلَ .

وقوله عز وجل : ﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ** ﴾ [النحل: ٦] أي : بهاءٌ وحسن .

قال ابن سيده : الجمال : الحُسن ، يكون في الفعل والخَلْق وقد جَمُل الرجل بالضم جمالاً فهو جميل وجُمَالٌ وجُمَّال [١].

*** وروده في الحديث الشريف :**

روى عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « **لا يَدْخلُ الجنَّة مَنْ كان في قلبه مثْقالُ ذرَّة من كِبْر** » قال رجل : إنَّ الرجل يُحب أن يكون ثوبهُ حَسَنًا ونَعْله حسنًا ، قال : « **إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال ، الكبر بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناس** » [٢].

*** المعنى في حق الله تعالى :**

قال النووي : وقوله ﷺ : « **إن الله جميل يحب الجمال** » اختلفوا في

---

(١) « الصحاح » (/١٦٦١) ، و « اللسان » (١/ ٦٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم في « الإيمان » (١/ ٩٣) .

معناه ، فقيل إن معناه : أن كلَّ أمره سبحانه وتعالى حسن جميل ، وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال .

وقيل : جميل بمعنى : مُجْمِل ، ككريم وسميع بمعنى : مُكْرِم ومُسْمِع .

وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله : معناه : جليل وحكى الإمام أبو سليمان الخطابي أنه بمعنى : ذي النور والبهجة أي مالكهما .

وقيل معناه : جميلُ الأفعال بكم باللُّطفِ والنَّظر إليكم ، يُكلّفكم اليسير من العمل ويُعين عليه ، ويُثيب عليه الجزيل ويشكر عليه [1].

وأول كلام الخطابي : الجميل : هو المُجْمِل المُحْسِن ، فعيل بمعنى مُفْعِل [2].

وقال الحليمي : ومنها : الجميل : وهذا الاسم في بعض الأخبار عن النبي ﷺ ومعناه : ذو الأسماء الحسنى ، لأن القبائح إذا لم تَلِقْ به، لم يَجز أنْ يشتقَ اسمه من أسمائها ، وإنما تشتق أسماؤه من صفاته التي كلها مدائح ، والأفعال التي أجمعها حكمه [3].

---

(1) « شرح مسلم » (٢/ ٩٠) ، وقال : « واعلم أن هذا الاسم ورد في هذا الحديث الصحيح ، ولكنه من أخبار الآحاد ، وورد أيضًا في حديث الأسماء الحسنى وفي إسناده مقال . والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى ، ومن العلماء من منعه » اهـ .

وقد سبق أن ذكرنا قوله في جواز إثبات الاسم لله تعالى مما ثبت بخبر الواحد ، انظر اسمه « الرفيق » .

(2) « شأن الدعاء » (ص ١٠٢) ، وقد حكاه النووي بقوله : وقيل : جميل بمعنى مجمل ... ، واختاره البيهقي في « الاعتقاد » (ص ٦٨) .

(3) « المنهاج » (١/ ١٩٨) . وذكره ضمن الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى جده ، ونقله البيهقي في « الأسماء » (ص ٤١ ـ ٤٢) .

وقال ابن الأثير : « إن الله تعالى جميل » أي حَسَنُ الأفعال ، كامل الأوصاف »[1].

وقال ابن القيم [2]:

وهو الجميلُ على الحقيقةِ كيفَ لا ... وجمالُ سَائرِ هذه الأكْوان
مِن بعضِ آثارِ الجميلِ فربُّها ... أولى وأجْدرُ عند ذي العِرْفانِ
فجمالُه بالذَّاتِ والأوْصاف والـ ... أفعالِ والأسماءِ بالبُرهان
لا شيءَ يُشبِه ذاتَه وصفاته ... سبحانه عن إفْكِ ذي الْبُهتَان

*** من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ أن الله تعالى هو الجميل على الحقيقة بلا كيفٍ نعلمه ، وجماله بالذات والأوصاف والأسماء والأفعال ، لاشيء يماثله في ذلك كما قال سبحانه عن نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وقال سبحانه : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] .

قال القاضي أبو يعلى الفرَّاء رحمه الله تعالى بعد أن ذكر حديث ابن مسعود السابق « إن الله جميل » : اعلم أنه غير ممتنع وصْفهُ تعالى بالجَمَال وأنَّ ـ ذلك صفةٌ راجعةٌ إلى الذات ، لأنَّ الجمال في معنى الحُسْن ، وقد تقدم في أول الكتاب قوله: « رأيتُ ربيِّ في أحسن صُورة » وبيَّنَّا أنَّ ذلك صفةٌ راجعة إلى الذات كذلك هاهنا ، ولأنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته ولا يُخرجها عما تستحقه ، لأنَّ طَريقَه الكمال والمدح ، ولأنه لو لم يُوصف بالجمال جاز أنْ يُوصَفَ بضدِّه وهو القُبْح ، ولَمَّا لم

(١) « النهاية » (١/ ٢٩٩) .

(٢) « النونية » (٢/ ٢١٤) .

يَجزْ أن يُوصف بضده ؛ جاز أنْ يُوصف به ، ألا تَرَى أنَّا وصفناه بالعلم والقدرة والكلام لأن في نفيها إثباتُ أضدادها وذلك مستحيلٌ عليه ، كذلك ها هنا .

فإن قيل : قوله : « **جميل** » بمعنى : مُجْمِل مَنْ شاء مِنْ خَلْقه ، لأنَّ فعيل قد يجيء على معنى : مُفعل ، ومنه قولنا : حكيمٌ والمراد محكم لما فعله .

قيل : هذا غلطٌ ، لأن الخبر وَرَد على سبب ، وهوالحثُّ لهم على التَّجمُّل في صفاتهم لا على معنى التجميل في غيرهم فكان مقتضى الخبر: إنَّ الله جميلٌ في ذاته يجب أنْ تتجملوا في صفاتكم ، فإذا حُمِل الخبر على فعل التجميل في الغير ، عدل بالخبر عمَّا قُصِدَ به .

فإن قيل : معنى الجمال ها هنا الإحسان والإفضال ، فيكون معناه : هو المظهر النعمة والفضل على مَنْ شاء من خَلْقه برحمته .

قيل : هذا غلطٌ لأنَّه قد ذَكَر الجمال والإحسان والإفضال فقال : «**جميل يُحبُّ الجمالَ ، وجوادٌ يحبُّ الجود ، وكريمٌ يحبُّ الكرماء** » فإذا حَملنا الجمال على ذلك حُمِلَ اللفظُ على التكرار وعلى ما لا يُفيد .

وجواب آخر : وهو أن نِعَم الله ظاهرةٌ ، فَحَمْلُ الخبر على هذا يُسقط فائدة التخصيص بالجمال [1].

فهو سبحانه الأجمل والأحسن في سائر صفات الكمال ، وصفاته كلها كمال جلَّ وعلا .

قال ابن جرير في قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ** ﴾ [النحل: ٦٠] : وهو الأفضلُ والأطيب والأحسن والأجمل ، وذلك التوحيد والإذعان له

---

(١) « إبطال التأويلات لأخبار الصفات » (٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) .

بأنه لا إله غيره [١].

٢ ـ الله تبارك وتعالى هو مُجْمِلُ من شاء مِن خَلْقه ، واهبُ الجمال والحُسْن لمن شاء ، كما مرَّ معنا قول ابن القيم رحمه الله إذْ يقول :

وهو الجميلُ على الحقيقةِ كيفَ لا وجمــالُ سَائـرِ هذه الأكْـوان
مِــن بعــضِ آثارِ الجميــلِ فربُّهــا أَولى وأَجْـدرُ عند ذي العِرْفانِ

وقد نبّه الله تعــالى النــاس إلى ذلك في آيات كثيــرة ، فقــال سبحانه : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠] ، وقال سبحانه : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧] .

فالله سبحانه هو الذي زيَّن الأرضَ وجمَّلهــا بأنــواع الحدائق والبساتين والأشجار والأزهار والخضرة ، ذات البَهجة والحُســن والجمال ، بحيث أن الناظر إليها يَبْتهج وتفرح نفْسُه بها ، وينشرح صدره بسببها .

ومثله قوله سبحانه عن الأنعام : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦] .

أي في الأنعام جمالٌ وزينة في أعين الناس ، لحسن صورتها وتركيبها، وتناسق أعضائها وتناسبها [٢].

---

(١) « التفسير » (١٤/ ٨٤ ـ ٨٥) .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مختصر الفتاوى المصرية (ص ٢١) : ... بل النظر إلى الأشجار والخيل والبهائم إذا كان على وجه استحسان الدنيا والرياسة والمال =

وهو أيضًا جلّ وعلا يَمتنُّ على بنى آدم بذلك إذ يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⦗٦⦘ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⦗٧⦘ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨] .

وقال سبحانه : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] .

فقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن صورة وأجمل تقويم ، وهم أيضًا متفاوتون في هذا الحُسن والجمال ، فقد أُعطي يوسف عليه الصلاة والسلام شطر الحُسن كما قال ﷺ(١) ولما رأته النسوة ﴿أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] .

٣ ـ وقد أُعطي نبينا ﷺ من ذلك حظًّا وافرًا ، تناسبُ الأعضاء ، وتناسقها ، وجمال الوجه واستدارته واستنارته ، وحُسْنُ القوام ورَبْعته ، ولين الكف وطيب رائحته ، وغير ذلك مما جاء في وصفه .

فعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال سمعت أنس بن مالك يَصف

= فهو مذموم ، لقول الله تعالى : ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وأما إذا كان على وجه لا ينقص الدين ، وإنما فيه راحة النفس فقط ، كالنظر إلى الأزهار ، فهذا من الباطل الذي يستعان به على الحق .

وقد ينظر إلى الإنسان لما فيه من الإيمان والتقوى ، وهنا الاعتبار بقلبه وعمله لا بصورته .

وقد ينظر إليه لما فيه من الصورة الدالة على المصور ، فهذا حسن .

وقد ينظر من جهة استحسان خَلْقه .

فكل قسم من هذه الأقسام متى كان معه شهوة كان حرامًا بلا ريب ، سواء كانت شهوة يمتع نظره بها ، أو كانت نظرة لشهوة الوطء .

وفرق بين ما يجده الإنسان عند نظره إلى الأزهار وبين ما يجده عند نظره إلى النسوان والمردان ، فلهذا الفرقان فرِّق في الحكم الشرعي ... إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

(١) رواه مسلم في « الإيمان » (١/١٤٦) من حديث ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه

النبي ﷺ قال : « كان رَبْعةً من القَوم ، ليس بالطَّويلِ ولا بالقصير ، أزهر اللون، ليس بأبيض أَمْهق ولا آدَمَ ، ليس بَجْعد قَطِط ولا سَبطٍ رَجِل ... » [١].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناسِ وجهًا ، وأحسنَه خَلْقًا ، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير » [٢].

وعنه : « كان النبي ﷺ مَربُوعًا بعيدَ ما بين المنكبين ، له شَعَرٌ يبلُغُ شحمةَ أُذنيه ، رأيتُه في حُلَّةٍ حمراء لم أرَ شيئًا قطُّ أحسَنَ منه » [٣].

وسئل رضي الله عنهما : « أكان وجهُ النبي ﷺ مثلَ السيف ؟ قال : «لا ، بل مثلَ القمر » [٤].

٤ ـ وكان مع ذلك من أحسن الناس أخلاقًا : سَماحة وشجاعة ، وحلمًا وكرما ، ورحمة وشفقة ، وصلة وبرًا ، كما وصفته خديجة رضي الله عنها بقولها : « إنك لَتَصِلُ الرحم ، وتَحملُ الكَلَّ ، وتَكْسِبُ المعدوم ، وتَقْرِي الضَّيفَ ، وتُعينُ على نوائبِ الحق » [٥].

وعن أنس رضي الله عنه قال : « خَدَمتُ رسول الله ﷺ عشرَ سنين والله ما قال لي : أُفًّا قط ، ولا قال لي لشيءٍ : لم فعلتَ كذا ؟ وهلاَّ فعلتَ كذا » [٦].

(١) رواه البخاري في « المناقب » (٦/ ٥٦٤) .

(٢) المصدر السابق ومسلم في « الفضائل » (٤/ ١٨١٩) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق في « بدء الوحي » (١/ ٢٢) وغيره .

(٦) رواه البخاري في « الأدب » (١٠/ ٤٥٦)، ومسلم في « الفضائل» (٤/ ١٨٠٤) واللفظ له .

وقال : « كان رسول الله ﷺ أَحَسَنَ الناسِ خُلُقًا »[1].

وقال : « كان رسول الله ﷺ أَحَسَنَ الناس ، وكان أَجْودَ الناس ، وكان أَشجع الناس ... »[2].

وعن ابن عمرو قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحِشًا ولا مُتفشحًا ، وأنه كان يقول : إن خياركم أحسنُكم أخلاقًا »[3].

قال الراغب : الجمالُ : الحُسْنُ الكثير ، وذلك ضَرْبان : أحدهما : جمالٌ يختصٌّ به الإنسان في نفسه أو بدنه أو فِعلِه ، والثاني : ما يُوصل منه إلى غيره .

وعلى هذا الوجه ما روي عنه ﷺ أنه قال : « **إن الله جميلٌ يحب الجمال**» تنبيهًا أنه منه تفيضُ الخيرات الكثيرة فيُحب من يختصٌّ بذلك[4].

فسبحان من جمع لرسوله ﷺ بين كمال الخَلْق والخُلُق .

٥ ـ وقد أمر الله تعالى بملازمة كل خُلُقٍ جميل ، وأوصى نبيه ﷺ وأمته بذلك في آيات عديدة .

فقال سبحانه : ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا**﴾ [المعارج: ٥] أي صبرًا لا شكوى فيه لأحدٍ غير الله تعالى[5] وذلك في مقابل استهزاء الكفار ، وعدم إيمانهم

---

(١) رواه بهذا اللفظ مسلم في « الفضائل » (٤/ ١٨٠٥) .

(٢) رواه البخاري في « الجهاد » (٦/ ٣٥ ، ٩٥ ، ١٦٣)، ومسلم في «الفضائل» (٤/ ١٨٠٢).

(٣) رواه البخاري في « الأدب » (١٠/ ٤٥٦) ، ومسلم في « الفضائل » (٤/ ١٨١٠) .

والفاحش ذو الفحش ، والمتفحش : الذي يتكلف الفحش ويتعمده لفساد حاله .

(٤) « المفردات » (ص ٩٧) .

(٥) قال ابن القيم رحمه الله : ولا تضاده « أي الصبر الجميل » الشكوى لله ، فقد قال يعقوب عليه السلام: ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾ [يوسف: ٨٦] مع قوله : ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف: ١٨] . وأما إخبار المخلوق بالحال ، =

بما يدعوهم إليه من الإيمان بالله واليوم الآخر .

وقال سبحانه : ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ [المزمل: ١٠] أي اصبر على ما يقول المشركون وعلى أذاهم واهجرهم في الله هجرًا جميلاً ، أي : لا عتاب معه ، وقيل : لا جزَع فيه ، وقيل : الهجر في ذات الله كما قال عز وجل : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] (١).

ومثلها قوله تعالى : ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] (٢).

وقال عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٨]. وقال في السورة نفسها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٩] .

أي طلقوهن طلاقًا خاليًا من الأذى ، وعاريًا عن منع الحقوق الواجبة، وهذا هو السَّراحُ الجميل الذي يحبه الله عز وجل ورسوله ﷺ

= فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته أو التوصل إلى زوال ضَرره ، لم يقدح ذلك في الصبر، كإخبار المريض للطبيب بشكايته ، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله ، وإخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه ، وقد كان النبي ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حاله ويقول : « كيف تجدك » [رواه الترمذي بسند حسن] وهذا استخبار منه واستعلام. « عدة الصابرين » (ص٣٢٣) وانظر : « بشرى المخبتين بفضل الصبر والصابرين » لمقيده (ص ٣٠) .

(١) انظر « تفسير الطبري » من كتابه (٧/٣٩٥) ، و « تفسير ابن كثير » (٤/٤٣٧) .

(٢) انظر : « تفسير ابن كثير » (٢/٥٥٨) .

ويأمر به الله ورسوله ﷺ [1].

٦ ـ الله سبحانه يحبُ التَّجمل في غير إسرافٍ ولا مخيلة ، ولا بَطَر ولا كِبْر ، كما جاء في الحديث السابــق « **إنَّ الله جميلٌ يحب الجمال** » وقد قاله ﷺ جوابًا لمن قال له : « إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حَسَنًا ونَعْله حسنًا » وبين أن مجرد فعل ذلك ومحبته لا يُدخل في الكبر المذموم .

و « ... الجنة دار المتواضعين الخاشعين لا دار المتكبرين الجبَّارين ، سواء كانوا أغنياءَ أو فقراء ، فإنه قد ثبتَ في الصحيح أنه « **لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» فقيل : يا رسول الله ! الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونَعله حسنًا أفمن الكبر ذاك ؟ فقال : « **لا ، إنَّ الله جميلٌ يحبُ الجمال ، ولكنَّ الكبر بَطَر الحقِّ وغَمْط الناس** » .

فأخبر ﷺ أن الله يُحب التَّجملَ في اللباس الذي لا يحصل إلا بالغنى ، وأن ذلك ليس من الكبر .

وفي الحديث الصحيح : « **ثلاثةٌ لا يكلِّمهم اللهُ ولا يَنْظُر إليهم يومَ القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليم : فقيرٌ مختال ، وشيخٌ زانٍ ، ومَلِكٌ كذَّابٌ**».

وكذلك الحديث المروي : « **لا يزال الرجلَ يذهبُ بنفسه ، ثم يذهب بنفسه ، ثم يذهب بنفسه ، حتى يكتب عند الله جباراً ، وما يملك إلا أهله** » [2].

---

(١) انظر : في هذا ابن كثير (٣/ ٤٨١) وغيره .

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٠) ، والطبراني في « الكبير » (٦٢٥٤) ، والبغوي في « شرح السنة » (٣٥٨٩) من طريق عمر بن راشد عن إياس بن سلمة بن الأكــوع عن أبيه مرفوعًا به ، =

فعلم بهذين الحديثين : أن من الفقراء مَن يكون مختالاً ، لا يدخل الجنة ، وأن من الأغنياء مَن يكون مُتجملاً غير متكبر ، يحبُ الله جماله، مع قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « **إنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إلى صُورِكم ولا إلى أموالِكم ، وإنما يَنظر إلى قلوبكم وأعْمالكم** »[1].

ومن هذا الباب قول هِرقل لأبي سفيان : أَفَضُعفاء الناسِ اتَّبعه أم أشرافهم ؟ قال : بل ضعفاؤهم ، قال : وهم أتباع الأنبياء ، وقد قالوا لنوح : ﴿**أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ**﴾ [الشعراء: ١١١] فهذا فيه أنَّ أهل الرئاسة والشرف يكونون أبعد عن الانقياد إلى عبادة الله وطاعته ، لأن حبهم للرئاسة يمنعهم ذلك بخلاف المستضعفين ، وفي هذا المعنى الحديث المأثور ـ إن كان محفوظًا ـ « **اللهم أحيني مِسكينًا وأمتني مسكينًا ، واحْشرني في زمرة المساكين** »[2].

فالمساكين ضد المتكبرين ، وهم الخاشعون لله ، المتواضعون لعظمته ، الذين لا يريدون علوًّا في الأرض ، سواء كانوا أغنياء أو فقراء»[3].



= لكن دون تكرير لجملة : « لا يزال الرجل يذهب... » قال الترمذي : حسن غريب . وفيه عمر بن راشد وهو ضعيف .

(١) رواه مسلم في « البر والصلة » (١٩٨٧/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الراجح فيه أنه حديث صحيح لطرقه ، ولبسط الكلام عليه موضع آخر .

(٣) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، « مجموع الفتاوى » (١١/١٢٩ ـ ١٣٠).

الوِتْر
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٦)

*** المعنى اللغوي :**

الوِتْرُ والوَتْر : الفَرْد أو مالم يَتشفَّع من العدد .

وأَوْتَرَه : أَفَذَّه .

قال اللحياني : أهلُ الحجاز يُسمُّونَ الفَرْد الوَتْر ، وأهل نجدٍ يكسِرون الواو .

وفي قوله عز وجل : ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣] قراءتان بالفتح والكسر [١].

وأوتر الرجل : صلَّى الوتر ، وهى ركعة تكون بعد صلاته مثنى مثنى من الليل [٢].

*** وروده في الحديث الشريف :**

ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **لله تِسعةٌ وتُسعون اسمًا، مَن حَفِظها دخل الجنة، وإنَّ الله وِتْرٌ يُحبُّ الوتر** » [٣] .

---

(١) قرأ عاصم ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح الواو ، وقرأ حمزة والكسائي بالكسر .

(٢) « اللسان » (٦/٤٧٥٧ ـ ٤٧٥٨)، و« الصحاح » (٢/٨٤٢)، و «المفرادات» (ص ٥١١) .

(٣) متفق عليه ، انظر تخريجه في الجزء الأول .

* المعنى في حق الله تعالى :

قال ابن قتيبة : اللهُ جل وعزَّ وِتْرٌ ، وهو واحد [1].

وقال الخطابي : « الوتر » هو الفَرْد الذي لا شريك له ولا نظير [2].

وقال الحليمي : ومنها الوتر : لأنه إذا لم يكن قديمٌ سواه ، لا إله ولا غيرَ إله ، لم ينبغي لشيءٍ من الموجودات أن يُضم إليه فيُعدَّ معه ، فيكون والمعدود معه شفعًا ، لكنه واحدٌ فردٌ وِتر [3].

وقال البيهقي : « الوتر » هو الفرد الذي لا شريك له ولا نظير (وهو قول الخطابي) وهذه أيضًا صفةٌ يستحقها بذاته [4].

وقال الحافظ ابن حجر : « الوتر » الفرد ، ومعناه في حق الله أنه الواحد الذي لا نظير له في ذاته ولا انقسام ! [5].

* من آثار الإيمان بهذا الاسم :

١ ـ أن الله تعالى واحد لا شريك له ولا نظير ، بل هو الإله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوًا أحد .

وهو سبحانه واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، قال عز

---

(١) « غريب الحديث » (١/ ١٧٢) .

(٢) « شأن الدعاء » (ص ١٠٤) .

(٣) « المنهاج » (١/ ١٩٠) وذكره في الأسماء التي تتبع إثبات وحدانيته ، ونقله البيهقي في «الأسماء » (ص ١٥) لكن عبارته : « ... أن يضم إليه فيعبد معه ، فيكون المعبود معه شفعًا ... » .

(٤) « الاعتقاد » (ص ٦٨) .

(٥) « الفتح » (١١/ ٢٢٧) .

وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] .

وقال : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥][١].

٢ ـ وهو جل وعلا يحب الوتر ويأمر به في كثير من الأعمال والطاعات ، كما في الصلوات الخمس ووتر الليل وأعداد الطهارة وتكفين الميت وفي كثير من المخلوقات كالسماوات والأرض [٢].

فقد روى علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أهل القرآن أوْتروا ، فإن اللهَ وترٌ يحبُ الوتر** »[٣].

قال القرطبي في معنى قوله ﷺ : « **وهو وتر يحب الوتر** » : الظاهر أن الوتر هنا للجنس ، إذْ لا معهود جرى ذكره حتى يحمل عليه ، فيكون معناه أنه : يُحبُ كلَّ وترٍ شرعه .

ومعنى محبته له : أنه أَمَرَ به وأثاب عليه ، ويصلح ذلك لعموم ما خَلَقَه الله وترًا من مخلوقاته .

أو معنى محبته له : أنه خصصه بذلك لحكمة يعلمها . ويحتمل أن يريد بذلك وترًا بعينه ، وإنْ لم يجرِ له ذكر ثم اختلف هؤلاء ، فقيل : المراد صلاة الوتر .

وقيل : يوم الجمعة .

وقيل : يوم عرفة .

وقيل : آدم .

---

(١) وانظر : آثار الإيمان بـ : « الواحد ـ الأحد » في المجلد الثاني من هذا الكتاب .

(٢) « الفتح » (١١/٢٢٧) نقلا عن القاضي عياض .

(٣) يأتي تخريجه.

وقيل غير ذلك .

قال : والأشبه ما تقدَّم من حمله على العموم [1].

قال : ويظهر لي وجهٌ آخر وهو : أن الوتر يُراد به التوحيد ، فيكون المعنى : أن الله في ذاته وكماله وأفعاله واحدٌ يحبُ التوحيد .

أي : أن يُوحَّد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه ، فيلتئم أول الحديث وآخره ، والله أعلم [2].

قال الحافظ معقبًا : قلت : لعل من حَمَله على صلاة الوتر ، استند إلى حديث علي : « إنَّ الوترَ ليس بِحَتمٍ ، ولا كصلاتكم المكتوبة ، ولكن رسول الله ﷺ أوتر ثم قال : « **أَوْتروا يا أهلَ القرآن ، فإن الله وترٌ يحب الوتر** » .

أخرجوه في السنن الأربعة وصححه ابن خزيمة واللفظ له [3].

فعلى هذا التأويل تكون اللام في هذا الخبر للعهد ، لتقدم ذكر الوتر المأمور به .

لكن لا يلزم أن يحمل الحديث الآخر على هذا ، بل العموم فيه أظهر ، كما أن العموم في حديث علي محتمل أيضًا [4].

٣ ـ وقد وردت عن السلف آثار في ذلك :

---

(١) انظر ما ورد عن السلف في تفسير « الشفع والوتر » : « تفسير ابن جرير » (٣٠/١٠٨ ـ ١١٠) ، و« الدر المنثور » للسيوطي (٨/٥٠٢ ـ ٥٠٤) .

(٢) « الفتح » (١١/٢٢٧) .

(٣) حديث صحيح ، رواه أبو داود (١٤١٦) ، والترمذي (٤٥٣) ، والنسائي (٣/٢٢٨ ـ ٢٢٩)، وابن ماجه (١١٦٩) ، وابن خزيمة (١٠٦٧)وغيرهم من حديث أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي به .

(٤) « الفتح » (١١/٢٢٧) .

فقال مجاهد في قوله تعالى ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣] : كل خلق الله شفع : السماء والأرض ، والبر والبحر ، والجن والإنس ، والشمس والقمر .

والله الوتر وحده .

وفي رواية عنه قال : الخلق كله شفع ووتر ، أقسم بالخلق [١].

وعن الحسن قال : الخلق كله شفع ، ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قال : كان أبي يقول : كل شيء خلق الله شفع ووتر ، فأقسم بما خلق ، وأقسم بما تبصرون وبما لا تبصرون [٢].

قال ابن جرير : وقال آخرون : بل ذلك الصلاة المكتوبة ، منها الشفع كصلاة الفجر والظهر ، ومنها الوتر : كصلاة المغرب .

ذِكْر من قال ذلك .

وذكر آثارًا منها :

عن قتادة قوله : ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ : إن من الصلاة شفعًا ، وإن منها وترًا [٣].

---

(١) « تفسير ابن جرير » (٣٠/١٠٩) ، وعبد الرزاق (٢/٣٦٩) عن ابن أبي نجيح عنه .

ويشهد له : ما أخرجه ابن جرير من وجه آخر عن ابن جريج عنه قال : في قوله : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ قال : الكفر والإيمان ، والسعادة والشقاوة ، والهدى والضلالة ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، والجن والإنس ، والوتر الله ، قال : وقال في الشفع والوتر مثل ذلك .

(٢) ابن جرير (٣٠/١٠٩) عن ابن ثور عن معمر عنه . ورواية معمر عن الحسن منقطعة ، قال أحمد : لم يسمع من الحسن ولم يره بينهما رجل . « جامع التحصيل » (ص ٣٥٠) .

وأخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٧٠) دون قوله : كان أبي يقول ...

(٣) المصدر السابق ، وسنده حسن .

ثم قال ابن جرير مرجحًا :

والصواب من القول في ذلك أن يُقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر ، ولم يُخصص نوعًا من الشفع ، ولا من الوتر دون نوع، بخبر ولا عقل ، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل أنه داخل في قَسَمِه هذا ، لعموم قسمه بذلك [1].

❊ ❊ ❊

---

(١) المصدر السابق (٣٠/ ١١٠) .

المُقَدِّم ـ المُؤَخِّر
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٧ ـ ٨)

لارتباط الاسمين ببعضهما ، جعلنا الكلام عليهما في مكان واحد .

*** المعنى اللغوي :**

قَدَمَ بالفتح يَقْدُم قَدْمًا ، أي تَقدَّم ، قال الله تعالى : ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ**﴾ [هود: ٩٨] .

وقَدُم الشيء بالضم قِدَمًا فهو قديمٌ ، وتقادم مثله ، والقِدَم خلاف الحدوث .

وأَقْدَمَ على الأمر إقدامًا ، والإقدام : الشجاعة .

وأَقْدَمه وقدَّمه بمعنى .

وقدَّم بين يديه أي تقدَّم ، قال تعالى : ﴿**لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [الحجرات: ١].

والقَدَمُ : قدمُ الرَّجُل وجمعه أقدام ، وبه اعتُبر التَّقدُّم والتأخر .

والقَدَمُ أيضًا : السابقة في الأمر كما في قوله عز وجل : ﴿**قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ [يونس: ٢] [(١)].

*** أما المؤخِّر :**

أَخَّرتُهُ فتأخَّر واستَأخَرَ مثل تأخَّر .

---

(١) « الصحاح » (٥/٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧) ، و « اللسان » (٥/٣٥٥٢) ، و « المفردات » (ص ٣٩٧).

والآخِرُ : بعد الأول ، تقول : جاء آخرًا أي أخيرًا .

والتأخُّرُ ضد التَّقدم ، والتأخير ضد التَّقديم ، كما في قوله : ﴿ ما تَقدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢].

وقد تأخّر عنه تأخرًا وتَأَخُّرَةً .

وأخَّرتُهُ فتأخَّر واستَأْخَرَ .

وفي التنزيل : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤].

وآخِرةُ العين ومُؤْخِرُها ومُؤْخِرَتُها : ما وَلِيَ اللّحاظ (أي الذي يلي الصُدْغ) ، ومُقْدِمها : الذي يلي الأنف .

ومُؤْخِرَةُ الرَّحل ومُؤَخَّرَتُه وآخِرتُه وآخِرِه ، كلُّه خلاف قادِمَته وهي التي يستند إليها الراكب (١).

وقال الراغب : وقولهم أَبْعَدَ اللهُ الآخِرَ ، أي المتأخّرَ عن الفضيلة ، وعن تَحدِّي الحق (٢).

*** ورودهما في الحديث الشريف :**

١ ـ وردا في حديث أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدُّعاء : « **اللهم اغْفِر لي خَطِيئتي وجَهْلي ، وإسْرَافي في أمري ، وما أنت أعلمُ به منِّي ، اللهم اغْفِر لي جِدِّي وهَزْلي ، وخطئي وعَمْدي ، وكلُّ ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ ، وما أسْررتُ وما أعلنتُ ، وما أنتَ أعلمُ به مني ، أنتَ المُقَدِّمُ وأنت المُؤَخِّرُ ،**

---

(١) « الصحاح » (٢/٥٧٦ ـ ٥٧٧) ، و« اللسان » (١/٣٨ ـ ٣٩) .

(٢) « المفردات » (ص ١٤) .

وأنتَ على كل شيءٍ قديرٌ »[1].

٢ ـ ووردا في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصفه لصلاة النبي ﷺ إذ يقول : « ... ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتَّسليم : اللهم اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّـرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنتُ ، وما أسْرفتُ ، وما أنتَ أعلمُ به منـي ، أنتَ المقدِّم وأنـت المؤخِّـر لا إله إلا أنتَ »[2].

٣ ـ ووردا في حديث ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قال : « كان النبيُّ ﷺ إذا قام منَ الليلِ يتهجَّدُ قال : اللَّهمَّ لكَ الحمدُ أنتَ قيِّمُ السماواتَ والأرضِ ومن فيهنَّ ، ولكَ الحمدُ لكَ مُلكُ السماوات والأرضِ ومن فيهنَّ ، ولكَ الحمدُ أنَت نورُ السماوات والأرضِ ، ولكَ الحمدُ أنتَ مَلكُ السماوات والأرضِ ، ولك الحمد أنتَ الحقُّ ، ووَعدُكَ الحقُّ ، ولقاؤكَ حقٌّ ، وقولُكَ حقٌّ، والجَنَّةُ حق ، والنَّارُ حق ، والنبيُّونَ حقٌّ ، ومُحمدٌ ﷺ حقٌّ ، والساعةُ حقٌّ، اللَّهمَّ لكَ أسلمتُ ، وبكَ آمنتُ ، وعليكَ توكلتُ ، وإليكَ أنبتُ ، وبكَ خاصمتُ ، وإليكَ حاكمتُ ، فاغفرْ لي ما قَدَّمتُ وما أخَّرتُ ، وما أسرَرتُ وما أعلنتُ ، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ لا إلهَ إلاَّ أنت أو لا إلهَ غيرُك »[3].

* معنى الاسمين في حق الله تعالى :

قال الخطابي : « المقدم » هو المنزّل للأشياء منازلها ، يقدّم ما شاء منها ، ويؤخِّر ما شاء ، قدَّم المقادير قبل أن يَخلق الخَلْقَ .

وقدَّم مَن أحبَّ من أوليائه على غيرهم من عَبيده .

---

(١) أخرجه البخاري في « الدعوات » (١١/١٩٦)، ومسلم في «الذكر والدعاء» (٤/٢٠٨٧) .

(٢) أخرجه مسلم في « صلاة المسافرين » (١/٥٣٦) .

(٣) أخرجه البخاري في مواضع أولها : في « التهجد » (٣/٣) .

ورفعَ الخَلْق بعضهم فوق بعض درجات ، وقدّم مَن شاء بالتوفيق إلى مَقَامات السابقين .

وأَخَّر مَن شاء عن مراتبهم وثَبَّطهم عنها .

وأخَّر الشيء عن حين تَوقعه ، لعلمه بما في عواقبه من الحكمة .

لا مقدِّم لما أخَّر ، ولا مؤخر لما قدم .

قال : والجمع بين هذين الاسمين أحسن من التفرقة [١].

وقال الحليمي : « المقدِّم » : وهو المُعْطِي لَعَوالي الرُّتب .

ومنها « المؤخّر » : وهو الدافع عن عوالي الرُّتب [٢].

وقال البيهقي : « المقدم والمؤخر » : هو المنزّلُ للأشياء مَنازلها ، يُقدّم ما شاء ومَنْ شاء ، ويُؤخِّر ما شاء ومَن شاء [٣].

وقال ابن الأثير : في أسماء الله تعالى « المقدِّم » : هو الذي يُقدم الأشياء ويضعها في مواضِعها ، فمن استحق التقديم قدَّمه[٤].

وقال في « المؤخر » : هو الذي يُؤخر الأشياء فيضَعُها في مواضعها، وهو ضد المقدم[٥].

وقال النووي : يُقدّم مَن يشاء من خَلْقه إلى رحمته بتوفيقه ويُؤخِّر مَن يشاء عن ذلك لخِذلانه [٦].

---

(١) انظر : « الأسماء والصفات » للبيهقي (ص ٨٦) .

(٢) « المنهاج » (ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، وذكرهما ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٨٦) ، والقرطبي في «الأسنى» (ورقة ٣٦٢ أ).

(٣) « الاعتقاد » (ص ٦٣) .

(٤) « النهاية » (٤/ ٢٥) ، ونقله ابن منظور في « اللسان » (٥/ ٣٥٥٢) ولم يعزه .

(٥) المصدر السابق (١/ ٢٩) ، و« اللسان » (١/ ٣٨) .

(٦) « شرح مسلم » (١٧/ ٤٠) .

وقال ابن القيم :

وهو المقدِّمُ والمؤخِّـــرِ ذَانك الـ ـصِّفتانِ للأفْعالِ تابعتانِ
وهما صفاتُ الذَّات أيضًا إذْ هما بالذَّاتِ لا بالغيرِ قائمتانِ

إلى آخر كلامه رحمه الله [1].

*** من آثار الإيمان بهذين الاسمين :**

١ ـ « من أسمائه سبحانه « المقدّم » و « المؤخر » ، وهما من الأسماء المتقابلة التي لا يجوز إفراد أحدها عن مُقابِلِه ، كما قدمنا ذلك في المعزّ والمذل ، والخافض والرافع ، والقابض والباسط ، والمانع والمعطي ، ونحوها .

فهو سبحانه المقدم لبعض الأشياء على بعض ، إما تقديمًا كونيًّا ، كتقديم بعض المخلوقات في الوجود على بعض ، وكتقديم الأسباب على مُسبباتها ، والشروط على مشروطاتها .

وإما تقديمًا شرعيا معنويا ، كتفضيل الأنبياء عليهم السلام على سائر البشر ، وتفضيل بعض النَّبيين على بعض ، وتفضيل العباد كذلك بعضهم على بعض .

وهو سبحانه المؤخر لبعضِ الأشياء عن بعض ، إما بالزمان أو بالشرع كذلك .

والتقديم والتأخير صفتان من صفات الأفعال التابعة لمشيئته تعالى

---

(١) « النونية » (٢/٢٤١) بشرح أحمد بن عيسى .

وقد وقع في البيت الأول « الصفان » ، « تابعان » ، وكلاهما خطأ .

وقد وقعا على الصواب في مطبوعة الهراس رحمه الله (٢/١٠٩) .

وحكمته وهما أيضًا صفتان للذات ، إذْ قيامها بالذات لا بغيرها .

وهكذا كل صفات الأفعال هي من هذا الوجه صفات ذات حيث أنَّ الذات مُتصفةٌ بها ، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تُسمى صفات أفعال .

ولهذا غلط علماء الكلام من الأشاعرة حين ظنوا أن هناك نوعين مختلفين من الصفات : أحدهما : قائم بالذات لازمٌ لها . كصفات المعاني السبعة التي هي : ١ ـ العلم ، ٢ ـ والقدرة ، ٣ـ والإرادة ، ٤ ـ والحياة ، ٥ ـ والسمع ، ٦ ـ والبصر ، ٧ ـ والكلام .

والثاني : صفات أفعال لا تقوم عندهم بالذات ، بل هي نِسَبٌ إضافية عدمية ، تنشأ من إضافة المفعول لفاعله ، ولا يعقل لها وجود إلا بتلك الإضافة ، فوجودها أمرٌ سلبي ، وليس لها وجودٌ في نفسها ، فليس ثمت عندهم موجود إلا المفعولات ، وأما الأفعال فنسبٌ وإضافات ! !

وهذا قولٌ باطل ! مخالف كما قدمنا لما دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف ، بل والعقل أيضًا ، الذي يَقضي بأن تكون صفات الأفعال قائمة بمن فعلها ، ويكن متَّصفًا بها من قالها أو عملها ، إذْ لا يُتَصورَّ في العقل مفعولٌ من غير فعل ، ولا مخلوقٌ من غير خالق ، كما لا يَتصور أحدٌ اسمًا مشتقا ولا يكون دالاً على صفةٍ في المحل المسمى به .

والذي أوقعهم في هذا الغلط الشنيع : أن صفات الأفعال عندهم لا تكون إلا حادثة ! لتعلُّقها بالمفعولات الحادثة .

فيستحيل عندهم قيامها بذاته تعالى ، لأن قيامَ الحوادث به مستلزمٌ

لحدوثه ، فارتكبوا بهذه الأُكذوبة أعظم جناية على الدين ، حيث نَفَوا كلَّ الصفاتِ الفعلية التي جاء بها الكتاب والسنة ، من الاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا وتكليمه لبعض عباده في بعض الأزمنة ، وحبه ورضاه وغضبه ومقته ...إلخ .

كما نَفَوا أفعاله التي يوجدها شيئًا بعد شيء تبعًا لحكمته ، وأقواله التي يتكلم بها شيئًا بعد شيءٍ كذلك!

ولا شك أن هذا التعطيل لأفعاله لهو كتعطيل الجهمية والمعتزلة لصفات ذاته بلا فرق أصلاً ، فإذا كان هذا التعطيل لصفاته الذاتية باطلاً بإقرار هؤلاء أنفسهم ، فيجب أن يكون التعطيل لصفاته الفعلية باطلاً كذلك »(١).

٢ ـ وقال القرطبي بعد أن ذكر حديث ابن عباس السابق : « خرجه الأئمة ، وأجمعتْ عليهما الأمة ، ولا يجوز الدعاء بأحدهما دون الآخر، قاله الحليمي .

وكلاهما ظاهرُ المعنى ، وهما من صفات الأفعالِ ، يَرفع من يشاء ، ويَخفض من يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذلُّ من يشاء ، ويُقرّب من يشاء، ويُبْعد من يشاء ، فمن قُدِّم فقد نال المراتبَ العُلى ، ومَن أُخِّر فقد رُدَّ إلى السُّفلى .

قال الحليمي : « المقدم » : هو المُعطي لعوالي الرتب ، و«المؤخر» هو الدافع عن عوالي الرتب .

فقرَّب أنبياءَه وأولياءه بتقريبه وهدايته ، وأَخْزى أعداءَه بإبعاده ،

---

(١) من كلام الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله على « النونية » (٢/ ١١٠ ـ ١١١) .
وانظر شرح الشيخ أحمد بن عيسى إن شئت (٢/ ٢٤٢) وما بعدها .

وضَرب الحجاب بينه وبينهم .

قدَّر المقادير قبل أن يخلقَ الخَلْق ، وقَدَّم مَن أحب من أوليائه على عبيده ، ورفع الخَلْق بعضَهم فوق [بعضٍ] درجات ، ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وكلٌّ ممكن إنما تخصَّص في زمانه وصفاته وسائر أحواله ، بإرادة الخالق سبحانه .

وقد يُراد بالتقديم والتأخير : بعض الموجوداتِ على بعض في الإبداع ، وتأخير بعضها على بعض .

وقد يُراد بهما : تقديم بعض الموجوداتِ على بعض في الرُّتبه والشَّرف ، وتأخير بعضها على بعض ، كما ذكرنا .

فعلى هذا ، قد يكون الشيء مُقدَّمًا في الإبداع والشَّرف معًا ، وقد يكون مقدَّما في الإبداع مُؤخَّرًا في الشَّرف .

وقد يكون مُؤَخَّرًا في الإبداع مُقدَّمًا في الشرف ، كمحمدٍ ﷺ الذي هو آخر الأنبياء وهو أشرفهم .

وكنوع الإنسانِ الذي أَبْدعه اللهُ بعد موجوداتٍ كثيرة ، وفَضَّله على كثيرٍ منها ، وقدَّم إبليس قبل موجوداتٍ كثيرة ، وهو شرٌّ منها كلها .

وقد يجتمع لبعض الموجوداتِ تقديم الإبداع والشرف ، كالعرش والكرسي والقلم والعقل ، الذي هو من أول المبتدعات ، وهي عند الله مُشَرَّفات » [1].

---

(١) « الكتاب الأسنى » (٢/ورقة ٣٦٢ أ ـ ب) ، وهو بنحو ما قال الغزالي في « المقصد » (ص ٨٥) .

٣ ـ فيجب على كل ملكف أن يعتقد أن الله تعالى هو المقدم المؤخر بكل اعتبار ، قدَّم من شاء وأخَّر من شاء ، في الخَلْق والرُّتبة ، أو الرتبة دون الخَلْق ، وهو سبحانه على كلِّ شيء قدير .

وإذا كان هذا فحقٌّ على الإنسان أن يقدّم ما قدَّمه الله ، ويؤخر ما أخَّره الله ، فإنه تعالى الخافض الرافع ، فيعزُّ من أعزَّه الله بطاعته من إخوانه المؤمنين ، ويهجر من أذَلَّه الله بمعصيته ، ثم إذا تابَ عَطَفَ عليه وقدَّمه بحسب درجته [١].

فمن أراد أن يرفعه الله تعالى ، ويُقدمه على غيره ، فليسابق إلى طاعته والعمل بمرضاته ، والتقرب إليه بما استطاع من محبوباته فإنه سبيل التقديم إلى مراتب الشرف والكرامة والخير والرحمة في الدنيا والآخرة .

وأما من تراخى عن الأخذ بمعاقد العزِّ والشرف ، وتكاسل عن القيام بما أوجب الله عز وجل عليه من الواجبات وتخلَّف ، وتعدَّى حدود الله ، وللتوبة سَوَّف ، فإنه المتأخر عن درجات الخير والثواب ، المؤخر في الآلام والعذاب .

فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخُّرًا فقال لهم : « **تَقدَّموا فأتموا بي ، وليأتمَّ بكم مَن بعدَكم ، لا يزال قومٌ يتأخرونَ حتى يؤخرهم** » [٢].

وفي رواية : رأى رســول الله ﷺ قومًا في مؤخَّرِ المسجد فذكر مثله [٣].

---

(١) المصدر السابق باختصار وتصرف .

(٢) أخرجه مسلم في « الصلاة » (١/ ٣٢٥) ، وأبو داود (٦٨٠) ، والنسائي (٢/ ٨٣) ، وابن ماجة (٩٧٨) .

(٣) أخرجها مسلم في الموضع السابق .

وقد قيل : إن معنى « يؤخرهم الله » : أي عن رحمته .

وقد ورد ما يشبه هذا .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **لا يزالُ قومٌ يتأخَّرون عن الصفِّ الأول ، حتى يؤخرهم الله في النار** »[1].

ولهذا حثَّ ﷺ أصحابه إلى التقدم إلى الصفوف الأولى والتسابق عليها ، والتبكير إلى المساجد ، فقال عليه الصلاة والسلام :« **لو يعلم الناسُ ما في النِّداء والصفِّ الأول ثم لم يجدوا إلا أن يَسْتهموا عليه لاستَهموا، ولو يعلمون ما في التَّهجير ، لاستَبَقوا إليه ، ولو يَعلمون ما في العَتَمةِ والصُّبحِ لأتَوْهُما ولو حَبْوًا** »[2].

وقد قال عز وجل : ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال سبحانه : ﴿**سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد: ٢١].

فمن كان سبَّاقًا إلى الخيرات وعمل الصالحات في الدنيا ، كان من السابقين لدخول الجنات في الأُخرى ، والناس في هذا درجات .

ففي الحديث في صفات المارِّين على الصراط يقول ﷺ : « ... **فَيَمرُّ أَوَّلكم كالبرقِ ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي ، أي شيء كمرِّ البرق ؟ قال: ألم تروا إلى البَرق كيف يمرُّ ويرجعُ في طرفةِ عين ؟ ثم كمرِّ الريح ، ثم**

---

(١) صحيح ، أخرجه أبو داود (٦٧٩) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٢٤٥٣) ، وابن خزيمة (١٥٥٩) ، وابن حبان (٥/٢١٥٦) وفي سنده لين لكنه يتقوى بما قبله .

(٢) رواه مسلم في « الصلاة » (١/٣٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

كمر الطَّير وشَدِّ الرجال ، تجري بهم أعمالُهم ، ونبيكم قائمٌ على الصراط يقول: ربِّ سلِّم سلِّم ، حتى تعجز أعمالُ العباد ، حتى يجيءَ الرَّجُلُ فلا يستطيعُ السيرَ إلا زَحفًا ، قال : وفي حافتي الصراط كلاليب مُعلَّقةٌ مأمورةٌ بأخذِ من أُمِرت به ، فمخدوش ناجٍ ومكدوس في النارِ » (١).

ويذكر ﷺ من أُخِّر عن دخول الجنة حتى دخل أهل الجنة كلهم إلى منازلهم وبقي هو ، فيقول ﷺ عنه : « ... ثم يَفرُغ اللهُ تعالى من القضاء بين العباد ، ويَبقى رجلٌ مقبلٌ بوجهه على النار ، وهو آخرُ أهل الجنة دخولاً الجنة، فيقول : أي ربِّ ! اصرِف وجهي عن النار ، فإنه قد قشبني ريحُها وأحرقني ذكاؤُها فَيَدعو الله مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوا ، ثُمَّ يقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى : هَلْ عَسَيْتَ إنْ فَعَلْتُ ذَلكَ بكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ! فَيَقُولُ : لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُود وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّار ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّة وَرَآهَا سَكَتَ مَاشَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ . ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ! قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّة، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لاَ تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ ! فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ! وَيَدْعُو اللهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ! فَيَقُولُ : لاَ وَعِزَّتكَ ! فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُود وَمَوَاثِيقَ ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّة ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّة انفهقتْ (٢) لَهُ الْجَنَّةُ ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُور ، فَيَسْكُتُ مَاشَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ! أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ ! فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ! لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو

---

(١) رواه مسلم في « الإيمان » (١/ ١٨٧) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما .

(٢) أي انفتحت واتسعت .

اللهَ حتَّى يَضْحَكَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى مِنْهُ، فإذا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإذا دَخَلَها قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى، حَتَّى إنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا[1]، حَتَّى إذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ. قَالَ اللهُ تَعالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ: وأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا. حَتَّى إذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إنَّ اللهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إلاَّ قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حفظتُ من رسول الله ﷺ قوله: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ» قال أبو هريرة: وذلك الرجلُ آخر أهل الجنة دخولاً الجنة[2].

* * *

---

(١) أي يقول له ربه: تمنَّ من الشيء الفلاني والشيء الفلاني، يسمي له أجناس ما يتمنى، فسبحان الملك الرؤوف الرحيم.

(٢) رواه البخاري في «الرقاق» (١١/ ٤٤٥)، وفي «التوحيد» (١٣/ ٤٢٠)، ومسلم في «الإيمان» (١/ ١٦٥ ـ ١٦٧). من حديث عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة رضي الله عنه به

الدَّيَّانُ

جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(٩)

*** المعنى اللغوي :**

الدِّينُ : الجزاء والمكافأة .

يقال : دانَه دَينا أي : جازاه ، يقال : كما تَدِين تُدَانُ .

أي: كما تُجَازِي تُجَازَى ، أي : تجازَى بفعلك وبحسب ما عملت .

وقوله تعالى : ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أي : مجزيون محاسبون(١) .

ومنه : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] أي يوم الحساب .

قال الجوهري : ومنه الدَّيان في صفة الله تعالى (٢).

والدِّين : الذُّل ، والمَدِين : العبد ، والمَدِينة : الأَمَةُ ، كأنهما أذلَّهما العمل .

والدِّين : الطاعة ، ودَانَ له أي : أطَاعه .

ومنه : الدِّين والجمع أديان .

يقال : دَانَ بكذا ديانةً وتَدَيَّنَ به ، فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ .

---

(١) وقال الفراء : في قوله تعالى ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها﴾ : غير مدينين أي : غير مملوكين ، قال : وسمعت : غير مَجْزِيين « اللسان » (٢/١٤٦٩) .

(٢) « الصحاح » (٥/٢١١٨) .

والدَّيان : القَهَّار ، وهو فعَّال ، من : دانَ الناس ، أي : قهرهم على الطاعة . ودِنْتُ الرجل : حَمَلْتُه على ما يكره .

والدِّين : العادة والشأن والحال .

تقول العرب : ما زال ذلك ديني ودَيْدني ، أي عادتي .

والدَّين : واحد الدُّيُون ، تقول : دِنْتُ الرجل أقرضته ، فهو مَدِينٌ ومَدْيون (1).

وأَدَنْتُه جَعَلْتُه دائنًا وذلك بأن تعطيه دَيْنًا .

والدِّين : يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة .

والدِّين كالملة ، لكنه يقال اعتبارًا بالطاعة والانقياد للشريعة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] .

وقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥] أي طاعةً (2).

*** وروده في الحديث الشريف :**

ورد فيه حديث جابر بن عبد الله يقول : بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيرًا ثم شددت عليه رحلي فسرت إلبه شهرًا حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له جابر على الباب فقال : ابن عبد الله ؟ قلت : نعم ، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته ، فقلت : حديثا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القِصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه ،

---

(1) انظر : « الصحاح » (٥/٢١١٧ ـ ٢١١٩) ، و « اللسان » (٢/١٤٦٧ ـ ١٤٧٠) ، و «غريب الحديث » لأبي عبيد (٣/١٣٥ ـ ١٣٦) .

(2) « المفردات » للراغب (ص ١٧٥) .

قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « يُحشرُ الناسُ يومَ القيامة ـ أو قال العباد ـ عُراة غُرلاً بُهْمًا » ، قال : قلنا : وما بُهْما ؟ قال : « ليس معهم شيءٌ، ثم يُناديهم بصَوت يَسمعه من بَعُد كما يَسمعه مَنْ قَرُب : أنا الملكُ ، أنا الديّان ، ولا ينبغي لأحدٍ من أهلِ النار أنْ يدخلَ النارِ ، وله عند أحد من أهلِ الجنة حقٌّ ، حتى أقُصَّه منه ، ولا ينبغي لأحدٍ من أهلِ الجنة أن يدخلَ الجنة ولأحدٍ من أهلِ النار عنده حقٌّ ، حتى أقصه منهُ حتى اللَّطمة » ، قلنا : كيف! وإنا إنّما نأتي الله عز وجل عُراةً غرلاً بُهْمًا؟ قال: « بالحَسَنات والسيِّئات».

زاد في رواية الحاكم والبيهقي : وتلا رسول الله ﷺ : ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧][1].

---

(١) صحيح، أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/ ٢٢٥) ، وأحمد (٣/ ٤٩٥) ، والبخاري تعليقًا (١٣/ ٤٥٣) مختصرًا ، وفي « الأدب المفرد » (٩٧٠) ، وفي « خلق أفعال العباد » (ص ١٤٩ ـ ١٥٠) ، والحارث بن أبي أسامة (٤٤ـ زوائد) ، والطبراني في « الكبير » ـ كما في المجمع (١/ ١٣٣) ـ ، والحاكم (٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) (٤/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥) ، وعنه البيهقي في « الأسماء » (ص٧٨ ـ ٧٩) ، والخطيب في « الرحلة في طلب الحديث » (٣١، ٣٢) كلهم عن همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابرًا...

قال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وقال الهيثمي : رواه أحمد ، والطبراني في « الكبير » ، وعبد الله بن محمد ضعيف !

قلت : حديثه لا ينزل عن رتبة الحسن .

قال الترمذي : صدوق ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه ، وسمعت محمد ابن إسماعيل « يعني البخاري » يقول : كان أحمد وإسحاق والحميدي يحتجون بحديث ابن عقيل ، قال محمد بن إسماعيل : وهو مقارب الحديث .

والحديث فيه : القاسم بن عبد الواحد المكي ، قال ابن أبي حاتم عن أبيه : يكتب حديثه، قلت : يحتج به ؟ قال : يحتج بحديث سفيان وشعبة .

أي: هو ليس بالمرتبة العليا . وذكره ابن حبان في « الثقات » .

وورد في حديث أبي قِلابة عن أبي الدرداء : البِرُّ لا يَبْلَى ، والإثمُ لا يُنسى ، والدَّيان لا ينَام ، فَكُنْ كما شئتَ ، كما تَدِينُ تُدان [1].

= وله طريق آخر يتقوى بها :

قال الحافظ في « الفتح » : وله طريق أخرى أخرجها الطبراني في « مسند الشاميين » ، وتمام في « فوائده » من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر ... فذكر نحوه.

قال الحافظ : وإسناده صالح « الفتح » (١/ ١٧٤) .

وله طريق أخرى : عند الخطيب ، وهي ضعيفة ، أنظر تعليقنا على « مناظرة في خلق القرآن» لابن قدامة (ص ٧٠ ـ ٧٢) .

* والحديث فيه : إثبات صفة الكلام لربنا سبحانه ، وأنه يتكلم بصوت يُسمع ، وحرف يُفهم ، وهو معتقد السلف رحمهم الله .

(١) موقوف رجاله ثقات ، أخرجه أحمد في « الزهد » (ص ١٤٢) عن عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة به .

ورجاله ثقات ، لكن في سماع أبي قلابة من أبي الدرداء نظر ، قال الحافظ في « الفتح » (٨/ ١٥٦) : أبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء .

قلت : أبو قلابة واسمه عبد الله بن زيد الجرمي من فقهاء التابعين ، وروايته عن مالك بن الحويرث ، وأنس بن مالك ، وثابت بن الضحاك متصلة وهي في الكتب الستة .

وكذا روايته عن عائشة في « صحيح مسلم » [كما في « جامع التحصيل » (ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨)] .

فالجزم بعدم إدراكه لأبي الدرداء فيه ما فيه ، والله أعلم .

وله شاهد : يرويه المروزي في « زوائد الزهد » لابن المبارك (١١٥٥) ، وأبو نعيم (١/ ٢١١ ـ ٢١٢) عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن أبي الدرداء : اعبدوا الله كأنكم ترونه ، وعدُّوا أنفسكم في الموتى ، واعلموا أن قليلا يكفيكم خير من كثير يلهيكم ، واعلموا أن البر لا يبلى ، وأن الإثم لا ينسى .

وعبد الله بن مرة ثقة روى عن ابن عمر وغيره .

وقد جاء الأثر مرفوعًا : عند البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٧٩) من طريق عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال : قال رسول الله ﷺ : ... فذكره . =

* معنى الاسم في حق الله تعالى :

قال الخطابي : الدَّيان : وهو المُجَاري .

يقال : دِنْت الرجل إذا جزيته ، أَدينُه .

والدِّين : الجزاءُ ، ومنه المَثَل : « كما تَدينُ تُدان » .

والدَّيان أيضًا : الحاكم ، ويقال : مَنْ دَيَّانُ أرضكم ؟ أي : مَنْ الحاكمُ بها ؟ (١).

وقال الحليمي : ومنها « الدَّيان » ، أخذ من ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهو: الحاسبُ والمُجاري ، ولا يُضيع عملاً ، ولكنه يَجزي بالخير خيرًا، وبالشَّر شرًا (٢).

وقال ابن الأثير : في أسماء الله تعالى « الدَّيَّان » قيل : هو القَهَّار .

وقيل : هو الحاكمُ القاضي .

وهو فعَّالٌ ، من : دَانَ الناس أي : قهرهم على الطاعة .

يقال : دِنْتُهم فدانوا ، أي : قهرتُهم فأطاعوا (٣).

= قال البيهقي : هذا مرسل .

وقال الحافظ : وله شاهد موصول من حديث ابن عمر أخرجه ابن عدي وضعفه .

قلت : هو في ترجمة محمد بن عبد الملك الأنصارى (٦/٢١٦٨) ، ورواه أيضًا أبو نعيم، والديلمي كما في « الضعيفة » (١٥٧٦) .

ومحمد بن عبد الملك قال النسائي : متروك.

وقال مرة : منكر الحديث . وكذا قال الشافعي ومسلم .

(١) « شأن الدعاء » (ص ١٠٦) مختصرًا ، ونقله الأصبهاني في « الحجة » (١/ ١٦٤) .

(٢) « المنهاج » (١/ ٢٠٦) وذكره في الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه ، ونقله البيهقي في « الأسماء » (ص ٧٨) ، والحافظ في « الفتح » (١٣/ ٤٥٨) وعنده : لا يضيع عمل عامل .

(٣) « النهاية » (٢/ ١٤٨) ، ونقله ابن منظور في « اللسان » ، ولم يعزه له.

* من آثار الإيمان بهذا الاسم :

١ ـ أن الله تعالى هو الدَّيان المحاسب والمجازي للعباد ، وهو الحاكم بينهم يوم المعاد ، كما قال سبحانه : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وقال : ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧] .

فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يَلومَنَّ إلا نفسه : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] .

وقال سبحانه : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

قال القرطبي : فيجب على كل مكلَّف أن يعلم أن الله سبحانه هو «الديَّان» يوم القيامة ، الذي يُجازي كُلاًّ بعمله ، فيقتصُّ للمظلوم من الظالم ، ومن السيد لعبده ، كما في حديث عائشة أن رجلاً قَعَد بين يدي النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنَّ لي مملوكين ... الحديث خرَّجه الترمذي[1] وقد تقدم في اسمه الحاسب .

---

(١) حديث صحيح ، أخرجه أحمد (٦/ ٢٨٠) ، والترمذي (٣١٦٥) عن عبد الرحمن بن غزوان أبي نوح حدثنا ليث بن سعد عن مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة : أن رجلاً قَعَد بين يدي النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم ؟ قال : « يُحْسَبُ ما خانوكَ =

وروى مسلم(١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أَتَدرونَ مَا المُفْلس ؟» قالوا : المفلسُ فينا مَن لا دِرهمَ له ولا مَتَاع ، قال : « إن المُفْلس من أُمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شَتَم هذا ، وقَذَفَ هذا ، وأكَل مالَ هذا ، وسفكَ دَمَ هذا ، وضربَ هذا ، فَيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فَنيتْ حسناته قبل أن يُقْضى ما عليه أُخذَ من خَطَاياهم فَطُرِحتْ عليه ثم طُرِحَ في النار » .

ثم عليه أن يَدين بطاعته .

وكما يَدين يُدان .

وهل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسان .

فإذا دَانَ نفسه بالطاعة ، وحَكَم قَلبه الذي هو الأميرُ على رعاياه التي هي جوارحه ، واشْتدَّ في الحكم لدين الله الذي به نبيه ﷺ ، وأشَاع هذا في الخَلق ، وأظهر دين الله بالحق ، فهو دَيَّانٌ من دَيَّاني هذه الأُمة ، وقد استوجب يومَ الدين : عظيمَ الحُرْمة (٢).

= وعَصَوك وكذبوك وعقابُك إياهم ، فإنْ كان عِقابُك إيَّاهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا ، لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك ، وإن كان عقابُك إياهم فوق ذنوبهم اقتصَّ لهم منك الفَضْل » قال فتنحَّى الرجل فجعل يبكي ويهتف ، فقال رسول الله ﷺ : « أما تقرأ كتابَ الله ﴿ ونضعُ الموازين القِسْط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ فقال الرجل : والله ما أجد [illegible] ولهؤلاء شيئًا خيرًا من مفارقتهم ، أشهدكم أنهم أحرارٌ كلهم .

وإسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين سوى عبد الرحمن بن غزوان المعروف بقُراد فثقة من [illegible] ال البخاري وحده . وقال [illegible] ثقة له أفراد .

(١) مسلم في « البر » (١٩٩٧/٤) .

(١) « النكت [illegible] الأسنى » (٢/ ورقة ٣٨١ ب ٣٨٢ أ) .

٢ ـ ينبغي للعبد أن يحاسب نفسه قبل أن يُحاسب ويستعد للقاء ديان السموات والأرضين قبل مجيء يوم الدين .

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزِنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا ، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً ، أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتَزَيَّنوا للعَرض الأكبر ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (١).

وقد ورد في حديث جابر السابق أن الناس يحشرون يوم القيامة عُراة غرلاً بُهْما ـ أي : ليس معهم شيءٌ ـ ثم يناديهم بصوت يسمعه البعيد كما يسمعه القريب قائلا لهم : أنا الملكُ أنا الديان ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحدٍ من أهل الجنة حقٌ ، حتى أَقُصَّهُ منه .

ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يَدخل الجنة ولأحدٍ من أهل النار عنده حقٌ حتى أقصَّه منه حتى اللَّطمة .

فسأل أصحاب النبي ﷺ عن كيفية القصاص وقد حشروا حفاةً عراة بُهْمًا ليس معهم درهم ولا دينار ؟!

فأجابهم ﷺ : أن القصاص يكون بالحسنات والسيئات ، أي : يأخذ المظلوم من حسنات الظالم ، فإنْ لم يكن عنده حسنات أُخذ من سيئات المظلوم فوضعت على الظالم ، ثم تلا رسول الله ﷺ الآية: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

قال القرطبي(٢): ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله حين حبسه الرشيد:

(١) أثر موقوف حسن ، رواه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس والإزراء عليها » برقم (٢) .
وذكره الترمذي تعليقًا في « صفة القيامة » (٦٣٨/٤).

(٢) «الكتاب الأسنى » (٢/ ورقة ٣٨١ أ) .

أَمَــا واللهِ إنَّ الظُّلْــمَ لُؤْمٌ　　　وما زال المُسِيءُ هو الظَّلومُ
إلى ديَّانِ يومِ الدِّين نَمْضي　　　وعند اللهِ تجتمعُ الخُصُومُ

* * *

الحَنَّانُ

جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(١٠)

*** المعنى اللغوي :**

الحَنَان : الرحمة .

يقال منه : حَنَّ عليه يَحِنُّ حنانًا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا** ﴾ [مريم: ١٣].

والحَنَّان بالتشديد : ذو الرحمة ، والذي يحنُّ إلى الشيء .

وتحنَّنَ عليه : تَرحَّم .

والعرب تقول : حَنَانَك يا رب ، وَحَنَانَيْكَ يا رب ، بمعنى واحد ، أي : رحمتك ، وحنانًا بعد حنان .

وقال ابن سيده في معناه : كلما كنتُ في رحمةٍ منك وخيرٍ فلا ينقطعنَّ ، وليكن موصولا بآخر من رحمتك [١].

وقال طَرَفة :

أَبَا مُنْذرٍ أَفْنَيتَ فاستَبْقِ بعضَنَا   حَنَانَيكَ بعضُ الشرِّ أَهْونُ من بعضِ

والحَنين : الشوقُ وتَوَقَانُ النفس .

---

(١) وقال ابن قتيبة في « غريب الحديث » (١/ ٢٢٠) : حَنانيك ربنا ، أي : هبْ لنا رحمةً بعد رحمة ، أو رحمة مع رحمة ، وكما قالوا : سعديك ، أي سعدًا مقرونًا بسعد .

تقول منه : حَنَّ إليه يحِنُّ حنينًا فهو حَانٌّ .

وحنينُ النَّاقة : صوتُها في نزاعها إلى ولدها .

والحَنُون : ريحٌ لها حَنِينٌ كحنين الإبل .

وما له حانَّةٌ ولا آنَّةٌ : أي ناقة ولاشاة .

وحَنَّةُ الرجل : امرأتُه ، لتحننه عليها .

وطريق حنَّان : بيِّنٌ واضح منبسط (١).

*** وروده في الحديث الشريف :**

ورد في حديث أنس رضي الله عنه قال : كنتُ جالسًا مع النبي ﷺ في المسجد ورجلٌ يُصلِّي فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنتَ الحنَّان المنَّان ، بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلالِ والإكرام، يا حيُّ يا قيوم ، فقال النبي ﷺ : « **دَعَا اللهَ باسمه الأعظم ، الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سُئِل به أَعْطى** » (٢).

---

(١) « الصحاح » (٥/٢١٠٤ ـ ٢١٠٥) ، و« اللسان » (٢/١٠٢٩ ـ ١٠٣١) ، و« المفردات » (ص ١٣٣) ، و« غريب الحديث » للهروي (٤/٤٠١) ، وابن جرير (١٦/ ٤٤) .

(٢) حديث صحيح ، سبق تخريجه في الجزء الأول من الكتاب .

فقول ابن العربي ـ كما في « الكتاب الأسنى » (٢/ورقة ٣٢١ أ) ـ : « وهذا الاسم لم يرد به قرآن ولا حديث صحيح وإنما جاء من طريق لا يعوّل عليه ، غير أن جماعة من الناس قبلوه وتأوَّلوه وكَثُر إيراده في كتب التأويل والوعظ » .

مما لا يعول عليه ، لأن الحديث صحيح .

وقد قال القرطبي معقبًا عليه : قد اجتلبنا فيه من الأخبار ما صحَّ به مورده وثبت معناه وذكره جماعةٌ من العلماء ...

* ملاحظة : أما حديث أنس مرفوعاً : « إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة : يا حنان يا منان ، قال : فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فائتني بعبدي هذا فينطلق جبريل فيجد =

* **معنى الاسم في حق الله تعالى :**

جاء عن ابن عباس أنه قال : لا والله ما أدري ما حَنَانا [1].

وذلك في قوله تعالى : ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٣].

وروى عنه أنه قال : ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ يقول : ورحمةً من عندنا [2].

ونحوه عن قتادة [3].

قال الأزهري : هو بتشديد النون صحيح . قال : وكان بعض مشايخنا أنكر التَّشديد فيه ، لأنه ذهب به إلى الحنين ، فاستوحش أن يكون الحنين من صفات الله تعالى ، وإنما معنى « الحنَّان » : الرحيم ، من الحنان وهو الرحمة [4].

= أهل النار مكبين يبكون ، فيرجع إلى ربه فيخبره فيقول : ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا ، فيجيء به فيوقفه على ربه عز وجل فيقول له : ياعبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك ؟ فيقول : أي ربِّ شر مكان وشر مقيل ، فيقول : ردُّوا عبدي ، فيقول : يارب ما كنت أرجو إذْ أخرجتني منها أن تردّني فيها ، فيقول : دعوا عبدي » .

فهو حديث ضعيف ، رواه أحمد (٣/ ٢٣٠)، والبيهقي في «الأسماء» (ص ٨٤) وغيرهما.

وفيه : أبو ظِلال واسمه : هلال بن ميمون ، قال ابن معين : ضعيف ليس بشيء ، وقال النسائي والأزدي : ضعيف ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه ، وقال البخاري : عنده مناكير . « الميزان » (٤/ ٣١٦) .

(١) إسناده صحيح ، أخرجه ابن جرير (١٦/ ٤٣) ، وأبو عبيد في « غريب الحديث » (٤/ ٤٠٢) عن حجاج ـ وهو ابن محمد المصيصي ـ عن ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار عن عكرمة به ورجاله ثقات ، وابن جريج قد صرح بالتحديث عند ابن جرير .

(٢) رواه ابن جرير (١٦/ ٤٣) وهو من رواية علي بن أبي طلحة عنه ، وروى البيهقي في «الأسماء» (ص٨٤) عنه قال : التعطف بالرحمة وسنده صحيح .

(٣) المصدر السابق ، بسندين عنه ، وهو صحيح .

(٤) « اللسان » (٢/ ١٠٢٩) .

وقال الخطابي : « الحنَّان » معناه : ذو الرحمةِ والعَطْف .

والحَنَان مخفّف : الرحمة [1].

وقال الحليمي : ومنها « الحنان » : وهو الواسعُ الرحمة ، وقد يكون المُبالغُ في إكرامِ أهلِ طاعته ، إذا وافوا دار القرار ، لأن من حنَّ إلى غيره من الناس ، أكرمه عند لقائه ، وكَلِفَ به عند قدومه [2].

وقال ابن الأعرابي : « الحنَّان » من صفات الله الرحيم [3].

وقال ابن الأثير : في أسماء الله تعالى « الحنَّان » وهو بتشديد النون: الرحيم بعباده ، فعَّال ، من الرحمة للمبالغة[4].

*** من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ أن الله تعالى هو الرحيم بعباده ، ذو العطف والحنان ، يكرم المحسنين ، ويغفر ويصفح للمسيئين ، إن تابوا إليه فهو حبيبهم ، وإن أعرضوا عنه فهو طبيبهم، يتحبب إليهم بالنِّعم، ويتبغضون إليه بالمعاصي، خيره إليهم نازل ، وشرهم إليه صاعد ! وهذا والله هو الحال العجيب .

٢ ـ وإذا كان هذا حال الرب مع العبد ، فالأولى أن يكون العباد كذلك مع بعضهم البعض ، يرحم بعضهم بعضا ، فيتحنن الأخ على أخيه ويعطف عليه ، ويصفح عن زلته ، ويقيل عثرته ، ويكون كما

---

(١) « شأن الدعاء » (ص ١٠٥) ، وبنحوه قال البيهقي في « الاعتقاد » (ص ٦٧) ، والأصبهاني في « الحجة » (١/ ١٦٤) .

(٢) « المنهاج » (١/ ٢٠٧) ، وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، ونقله البيهقي في « الأسماء » (ص ٨٤) .

(٣) «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص ٨٥) ، و «الكتاب الأسنى» للقرطبي (٢/ ورقة ٣٢٢ ب).

(٤) « النهاية » (١/ ٤٥٣) .

وصف نبي الرحمة ﷺ المؤمنين بقوله : « **مثل المؤمنين في توادِّهم وتَراحُمِهم وتعاطُفِهم ، مثل الجَسَدِ ، إذا اشتكي منه عُضْوٌ ، تَدَاعى له سائرُ الجَسَدِ بالسَّهر والحُمَّى** »[(١)].

قال القرطبي : فيجب على كل مسلم أن يتخلَّقَ بهذين الاسمين : (يعني : الحنان والمنان) وسائر الأسماء ... رقيق القلب ، لأن الحنان حقيقته في المخلوق رقةٌ في النفس ، وميلٌ مُفْرطٌ في الجِبلَّة والطبع ، لشوقٍ مزعج وتوق مُفْرط .

فَرِقَّة القلب تَحْملُ على التَّعطف والرحمة والرأفة والشفقة ، وعنها تكون الأُلْفة والفُرقة .

وقد ذَمَّ اللهُ غِلَظ القلب فقال : ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال عليه السلام : « **أتاكم أهلُ اليَمنِ ، هم أَضْعفُ قلوبًا ، وأرقُّ أفئدةً** » وفي رواية : « **ألين قلوبًا** » بدل « **أضعف** »[(٢)].

مَدَحهم بذلك .

كما ذَمَّ الفدَّادين فقال : « **القَسْوة وغِلظ القلوب في الفدادين** »[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في « البر والصلة والآداب » (٤/١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠) من حديث الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « المغازي » (٨/ ٩٨ ، ٩٩) ، ومسلم في « الإيمان » (١/ ٧١ ، ٧٢، ٧٣) من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري في « بدء الخلق » (٦/ ٣٥٠)، وفي «المناقب » (٦/ ٥٢٦)، وفي « المغازي» (٨/ ٩٨)، وفي « الطلاق » (٩/ ٤٣٩) ، ومسلم في « الإيمان » (١/ ٧١) من حديث قيس ابن أبي حازم عن أبي مسعود قال: أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن فقال : « ألا إنَّ الإيمان ههنا ، وإنَّ القَسْوة وغِلَظ القلوبِ في الفدَّادين عند أصول أذناب الإبل ، حيث يطلعُ =

وجعلﷺ رِقَّةَ القلب علامةَ الجنة ، فقال : « أهل الجنة ثلاثةٌ : ذو سلطانٍ مُقْسط متصدِّق موفَّق ، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلب لكلِّ ذي قُرْبى ومسلمٍ ، وعفيفٌ متعفِّفٌ ذو عيال »[1].

ويجب عليه الشكر لنعم الله وآلائه في المزيد من فضله ، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧][2].

❋ ❋ ❋

= قرنا الشيطان في ربَيعة ومُضر » واللفظ لمسلم .

والفدادين : جمع فدَّاد وهو من الفديد وهو : الصوت الشديد ، فهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك (نووي) .

وللحديث ألفاظ أخرى من رواية أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما .

(١) رواه مسلم في « الجنة وصفة نعيمها وأهلها » (٤/ ٢١٩٧ ـ ٢١٩٨) من حديث مطرف ابن عبد الله عن عياض بن حمار المجاشعي وأوله : أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إنَّ ربي أمرني أن أعلِّمكم ما جهلتم مما علَّمني يومي هذا ، كلُّ مالٍ نحلته عبدًا حلالٌ ، وإني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمتْ عليهم ما أحللت لهم ...» الحديث .

(٢) « الكتاب الأسنى » (٢/ ورقة ١٣٢٣ ـ ب) .

المَنَّان

جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(١١)

*** المعنى اللغوي :**

مَنَّ عليه يَمُنُّ مَنًّا : أحسنَ وأنعم .

والاسم : المِنَّةُ ، وهي العطية ، والمنُّ : العطاء .

ومَنَّ عليه وامتنَّ وتمنَّنَ : قَرَّعه بمنَّةٍ .

يقال : المِنَّةُ تهدم الصَّنيعة .

والمَنُّ : القَطْعُ ، ويقال : النقص ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨].

والمَنُّ : شيء حلو كالطَّرَنْجبين ، في قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧].

وفي الحديث : « الكمأة من المن »[١].

المُنَّةُ بالضم : القُوة[٢].

*** وروده في الحديث الشريف :**

ورد في حديث أنس السابق .

---

(١) رواه مسلم في « الأشربة » (٣/١٦١٩ ـ ١٦٢١) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه

(٢) « الصحاح » (٦/٢٢٠٧) ، و« اللسان » (٦/٤٢٧٧ ـ ٤٢٧٩) .

وورد في التنزيل فعلاً ، قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال : ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧].

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال الزجاجي : « المنَّان » فعالٌ من قولك : مننتُ على فلان ، إذا اصطنعت عنده صنيعة وأحسنت إليه .

فالله عز وجل منَّانٌ على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه إياهم .

وفلان يمنُّ على فلان : إذا كان يعطيه ويحسن إليه [(١)].

وقال الخطابي : وأما « المنَّان » فهو كثير العطاء [(٢)].

وقال الجوهري : و « المنَّان » من أسماء الله تعالى [(٣)].

وقال الحليمي : ومنها : « المنان » وهو عظيمُ المواهب ، فإنه أعطى الحياة والعقل والنطق ، وصَوَّر فأحسن الصور ، وأَنْعم فأَجزل ، وأسْنَى النِّعم ، وأكثر العطايا والمِنَح ، قال ـ وقوله الحق ـ : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤][(٤)].

وقال أبو بكر ـ هو الأنباري ـ : وفي أسماء الله تعالى الحنَّان المنَّان، أي الذي يُنعِم غيرَ فاخرٍ بالإنعام .

وقال في موضع آخر في شرح المنان :

---

(١) « اشتقاق أسماء الله » (ص ١٦٤) .

(٢) « شأن الدعاء » (ص ١٠٠) ، وبنحوه قال البيهقي في « الاعتقاد » (ص ٦٧) .

(٣) « الصحاح » (٦/٢٢٠٧) .

(٤) « المنهاج » (١/٢٠٣) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه ، ونقله البيهقي في « الأسماء » (ص ٦٥) .

معناه : المُعْطي ابتداءً ، ولله المِنَّةُ على عباده ، ولا مِنَّة لأحدٍ منهم عليه ، تعالى الله علوًا كبيرًا [1].

وقال ابن الأثير : في أسماء الله تعالى « المنَّان » : هو المُنْعم المعطي ، من المنِّ : العَطاء ، لا من المنة .

وكثيرًا ما يَرِدُ المنُّ في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يَسْتَثِيبُه ولا يطلب الجزاء عليه .

فالمنّان من أبنية المبالغة ، كالسَّفاك والوهاب [2].

وقال القرطبي : ومنها المنان جل جلاله وتقدست أسماؤه .

قال : يقال منه : مَنَّ يمنُّ منًّا فهو المنَّـــان ، والاسم : المِنَّة واشتقاقــه في موضـــوع اللســـان من المَـــنّ وهو العطـــاء دون طلب عوض .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ [ص: ٣٩] في أحد وجوهه .

ويكون أيضًا مشتقًا من : المِنَّة ، التي هي التَّفاخر بالعطية على المُعْطى ، وتعديد ما عليه .

والمعنيان في حقِّ الله تعالى صحيحان .

ويتَّصف أيضًا بهما الإنسان ، لكن يتصف بالمعنى الواحد على طريق المدح ، وبالمعنى الثاني على طريق الذَّم .

فالأول : الذي هو ممدوح ، نحو أن يكون عطاؤه أو منُّه لوجه الله تعالى ، لا لنيل عوضٍ من الدنيا .

---

(١) « اللسان » (٦/٤٢٧٩) .

(٢) « النهاية » (٤/٣٦٥) .

ومن هذا القسم قوله عليه السلام : « وإنَّ مِن أَمَنِّ الناسِ عليَّ في ماله أبو بكر » .

وقوله : « ما أَحَدٌ أمنَّ عليَّ من ابن أبي قُحافة »[1].

والقسم الثاني : وهو أن يَمنَّ الإنسان بالعطية ، أي : يَذكرها ويُكررها، فهو المذموم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يُكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليم : المُسْبِل ، والمنَّان ، والمُنَفِّقُ سِلْعَتَه بالحلفِ الكاذب » .

والمنَّان : الذي لا يُعطي شيئًا إلا مَنَّة ، كذا جاء مفسَّرًا في كتاب مسلم[2].

والمنان أيضًا : الذي يَمنُّ على الله بعمله .

وهذا كله في حقِّ المخلوق حرامٌ مذمومٌ .

---

(١) رواهما البخاري في « الصلاة » (١/٥٥٨) ، وغيره ، وأحمد (١/ ٢٧٠) (٣/٤٧٨) (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢) من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس وأبي المعلى رضي الله عنهم بألفاظ متقاربة .

ولفظ حديث ابن عباس : خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عَاصبًا رأسَه بخِرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إنه ليس من الناس أحدٌ أمنَّ علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذًا من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدوا عني كل خوخةٍ في هذا المسجد غيرَ خوخة أبي بكر » .

(٢) رواه في « الإيمان » (١/١٠٢) من حديث أبي ذر .

والتفسير المذكور جاء مرفوعا فيه من قوله ﷺ .

وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ : « لا يَدْخل الجنَّةَ منَّان »[1].

ولما كان البارئ سبحانه يُدر العطاء على عباده منًّا عليهم بذلك وتفضُّلاً ، كانت له المنة في ذلك .

فيرجع المنان إذا كان مأخوذًا من المنِّ الذي هو العطاء إلى أوصاف فعله .

ويرجع المنان إذا أخذتَه من المنَّة التي هي تِعداد النعمة وذكرها والافتخار بفعلها في معرض الامتنان ، إلى صفة كلامه تعالى[2].

*** من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ إن الله تعالى هو المنَّان الذي مَنَّ على عباده بأنواع الإحسان والإنعام والأرزاق والعطايا .

وهو سبحانه كثير العطاء ، فلا نهاية لتوسعته : ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وقال : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقد ذكَّر الله تعالى عباده ببعض منّنه عليهم فمن ذلك قوله : ﴿ لَقَدْ

---

(١) حديث صحيح، رواه احمد (٢/ ٢٠١، ٢٠٢)، والدارمي (٢/ ١١٢)، والنسائي (٨/ ٣١٨)، وابن خزيمة في « التوحيد» (ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦)، وابن حبان (١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ـ زوائد)، والطحاوي في « المشكل » (١/ ٣٩٥) عن سالم بن أبي الجعد عن جابان عن عبد الله بن عمرو مرفوعا به ، وتمامه : « ... ولا عاق والديه ، ولا مدمن خمر ، ولا ولد زنية » .
وقد أعلّه ابن خزيمة بجهالة جابان وباسقاطه نبيط من هذا الإسناد ، لكن هو مذكور في الإسناد عند النسائي .
وللحديث شواهد يتقوى بها ، انظر تعليقنا على « إبطال التأويلات » (٢/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) .

(٢) « الكتاب الأسنى » (٢/ ورقة ٣١٨ ب ـ ٣١٩ ب) .

مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾

[آل عمران: ١٦٤].

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

فذكَّرهم سبحانه وتعالى بنعمة هدايته لهم وقد كانوا في ظلمات الكفر يترددون ، وعلى شفير جهنم هم قائمون .

ونحوها قوله تعالى : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

[الحجرات: ١٧].

وقوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٥، ٦].

فيها امتنان على بني إسرائيل وما حصل لهم من العزة والقوة والتمكين في الأرض بعد أن كانوا في ذلة واستضعاف وتبعية لفرعون وملائه .

ومثلها قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٤ - ١١٨].

ويوسف نبي الله عليه الصلاة والسلام يذكر نعمة ربه عليه وعلى

أخيه، وأنه سبحانه لم يضع صبره وتقواه بل أورثه ذلك حسن العاقبة ، فيقول لإخوته : ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وكذا أهل الجنة يذكرون حالهم في الدنيا وخوفهم من ربهم ثم يذكرون نعمة الله عليهم في الجنان ، ونجاتهم من سموم النيران ، فيقولون : ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٦ - ٢٨].

قال القرطبي : فيجب على كلِّ مسلمٍ أن يعلم أن لا منَّان على الإطلاق إلا الله وحده ، الذي يبدأ بالنَّوَال قبل السؤال .

ثم يعترف بالمنَّة لله وحده .

كما روي أن النبي ﷺ لما جَمَعَ الأنصار فذكَّرهم ، وقال : « **ألَم يكن أمركم شيئًا فجمعَه اللهُ بي ، ألم تكونوا عَالةً فأغناكم اللهُ بي ، ألم تكونوا خائفين فأمَّنكم اللهُ بي** » وهم في ذلك يقولون : اللهُ ورسوله أمَنُّ ... الحديث إلى آخره [(١)].

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري في «المغازي» (٨/٤٧)، وفي « التوحيد » (١٣/٣٢٥)، ومسلم في «الزكاة» (٢/٧٣٨ ـ ٧٣٩) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : « لما أفاءَ اللهُ على رسولِه ﷺ يومَ حُنَينٍ قسمَ في الناس في المؤلفةِ قلوبهم ولم يُعطِ الأنصارَ شيئًا ، فكأنهم وَجَدوا إذ لم يُصِبهم ما أصابَ الناسَ ، فخطَبَهم فقال : يا مَعشَرَ الأنصار ، ألم أجِدْكم ضُلالا فهَداكم اللهُ بي ، وكنتم متفرِّقين فألَّفكم اللهُ بي ، وعالةً فأغناكم اللهُ بي ؟ كلَّما قال شيئًا قالوا : اللهُ ورسولُه أمنُّ . قال : ما يَمنعُكم أن تجيبوا رسولَ الله ﷺ ؟ قال : كلَّما قال شيئًا قالوا : اللهُ ورسولُه أمنُّ . قال : لو شئتم قلتم : جِئتنا كذا وكذا . ألا ترضَونَ أن يذهبَ الناسُ بالشاةِ والبعيرِ ، وتذهبونَ بالنبيِّ ﷺ إلى رِحالِكم ؟ لولا الهجرةُ ، لكنتُ امرءًا من الأنصار . ولو سلكَ الناسُ واديًا وشِعبًا لَسلَكتُ واديَ الأنصارِ وشِعبَها ، الأنصارُ شِعار ، والناسُ دِثار ، إنكم ستَلقَونَ بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تَلقَوني على الحَوْض». =

(فأقرُّوا) لله ثم لرسوله بالنعمة ، وولَّوا النعمة لربِّ النعمة ، والله أعلم. ثم إذا أَعْطى أحدًا من خلقه مما أَنْعم الله تعالى به عليه فلا يَمنّ به، بل يَستصغره ، ويَتَناساه ، ويَرى الفضل لغيره في قَبوله منه ، لا له.

وقال بعضهم : المنُّ التَّحدُّثُ بما أعطى حتى يبلغ ذلك المُعْطَى فيؤذيه .

قال العلماء : وإنما على المرء أن يُريد وجه الله تعالى وثوابه بانفاقه على المُنْفَق عليه ، ولا يرجو منه شيئًا ، ولا ينظر من أحواله في حالٍ سوى أن يُراعي استحقاقه .

قال الله تعالى : ﴿ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ [الإنسان: ٩].

ومتى أَنفقَ ليريد من المنفق عليه جزاء بوجهٍ من الوجوه ، فهذا لم يُرِدْ به وجه الله ، فهذا إذا أَخْلَف ظنَّه فيه ، مَنَّ بإنفاقه وآذاه .

وكذلك من أنفقَ مضطرًا دافعَ غُرمٍ ، إما لأنه المُنْفِقُ عليه ، أو لعلةٍ أخرى ، من اعتناء مُعْتنٍ ، فهذا لم يُرد به وجه الله ، وإنما يقبل ما كان عطاؤه لله ، وأكبر قصده ابتغاء ما عند الله [(١)].

= قال الحافظ في « الفتح » (٨/ ٥٠) : وقد رتَّب ﷺ ما منَّ الله عليهم على يده من النعم ترتيبًا بالغًا ، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يُوازيها شيءٌ من أمر الدنيا ، وثنَّى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال ، لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل ، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بُعاث وغيرها كما تقدم في أول الهجرة ، فزال ذلك كله بالإسلام كما قال الله تعالى : ﴿ لو أنفقتَ ما في الأرض جميعًا ما ألَّفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم ﴾ .

وقال (ص ٥٢) : وفيه : أن المنَّة لله ورسوله على الإطلاق .

(١) « الكتاب الأسنى » (٢/ورقة ٣١٩ ب ـ ٣٢٠ ب) باختصار .

وهناك بعض الكلمات وجدت صعوبة في قراءتها بسبب انطماسها ، فكتبتها كما ظهرت لي ومن سياق الجملة .

٢ ـ قد ذكرنا حديث الرسول ﷺ في حرمة المنِّ ، وأن المنان من الثلاثة الذين لا يُكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليم ، وهو أنه لا يعطي شيئًا إلا مَنَّه .

وقد قسم الإمام ابن القيم رحمه الله المنَّ في الناس إلى قسمين في كلامه عن المنفقين وأنواعهم فقال :

فالمن نوعان : أحدهما منٌّ بقلبه مِن غير أنْ يُصَرِّحَ به بلسانه ، وهذا إنْ لم يبطلْ الصدقة ، فهو من نقصان شهودِ منَّة الله عليه في إعطائه المال وحِرمان غيره ، وتوفيقه للبذل ومنع غيره منه ، فللَّه المنة عليه من كل وجه ، فكيف يشهد قلبه منة لغيره ؟

والنوع الثاني : أنْ يمنَّ عليه بلسانه ، فيعتدى على من أَحسنَ إليه بإحسانه ، ويُريه أنه اصطنعه وأنه أوجب عليه حقا وطوَّقه مِنةً في عنقه فيقول : أما أعطيتك كذا وكذا ؟ ويعدد أياديه عنده .

قال سفيان : يقول أعطيتك فما شكرت .

وقال عبد الرحمن بن زياد كان أبي يقول : إذا أعطيت رجلا شيئًا ورأيت أن سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه ، وكانوا يقولون : إذا اصطنعتم صنيعةً فانسوها ، وإذا أُسْدِيتْ إليكم صنيعة فلا تنسوها .

وفي ذلك قيل :

وإنْ امرءًا أَهْدى إليَّ صَنِيعةً وذَكَّرنيها مرةً لَبَخيلُ

وقيل : صِنْوانٌ مَنْ مَنَحَ سائله ومنَّ ، ومَن مَنعَ نائله وضَنَّ .

*** ثم ذكر اختصاص الله تعالى بالمنِّ وأسباب ذلك فقال :**

وحظر الله على عباده المنَّ بالصنيعة واختص به صفة لنفسه لأنَّ منَّ

العباد تكديرٌ وتَعيير ، ومَنُّ الله سبحانه وتعالى إفضال وتذكير .

وأيضًا : فإنه هو المنعم في نفس الأمر والعباد وسائط ؛ فهو المنعم على عبده في الحقيقة .

وأيضًا فالامتنان استعباد وكسر وإذلال لمن يمن عليه ولا تصلح العبودية والذل إلا لله .

وأيضًا فالمنة أن يشهد المعطي أنه هو ربُّ الفضل والإنعام وأنه ولى النعمة ومُسديها، وليس ذلك في الحقيقة إلا الله .

وأيضًا فالمانُّ بعطائه يشهد نفسه مترفعًا على الآخذِ مُستعليًا عليه غنيا عنه عزيزًا ، ويشهد ذلَّ الآخذ وحاجته إليه وفاقته ، ولا ينبغي ذلك للعبد.

وأيضًا فإنَّ المُعْطي قد تولى الله ثوابه وردَّ عليه أضعاف ما أعطى ، فبقي عِوضَ ما أعطى عند الله ، فأيُّ حق بقى له قبل الآخذ ؟ فإذا امتن عليه فقد ظَلَمه ظُلمًا بيِّنًا ، وادَّعى أنَّ حقه في قلبه ، ومن هنا ـ والله أعلم ـ بَطَلَت صدقته بالمن ، فإنه لما كانت معاوضته ومعاملته مع الله ، وعِوض تلك الصدقة عنده ، فلم يرضَ به ولاَحَظ العوض من الآخذ والمعاملة عنده فمنَّ عليه بما أعطاه ، أبطَلُ معاوضته مع الله ومعاملته له.

*** ثم بيَّن رحمه الله تعالى أن المنَّ ولو كان بعد الإنفاق بمدة ضرَّ بصَاحِبِه ، فقال :**

فتأمل هذه النصائح من الله لعباده ، ودلالته على ربوبيته وإلهيته وحده، وأنه يُبْطلُ عملَ مَنْ نازعه في شيءٍ من ربوبيته وإلهيته ، لا إله غيره ولا رب سواه . ونبَّه بقوله : ﴿**ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى**﴾ على أن المنَّ والأذى ولو تراخى عن الصدقة وطالَ زمنه ضرَّ بصاحِبِه ،

ولم يَحصل له مقصود الإنفاق ، ولو أتى بالواو وقال : ولا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ، لأوهمْت تقييد ذلك بالحال ، وإذا كان المنّ والأذى المتراخي مُبْطلاً لأثر الإنفاق مانعًا مِنَ الثواب فالمقارن أولى وأحرى .

وتأمَّل كيف جَرَّد الخبر هنا عن الفاء فقال : ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ وقرنه بالفاء في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] فإنَّ الفاء الداخلة على خبر المبتدأ الموصول أو الموصوف تفهم معنى الشَّرط والجزاء وأنه مستحقٌ بما تضمنه المبتدأ من الصِّلة أو الصفة، فلما كان هنا يقتضي بيان حصر المستحق للجزاء دون غيره ، جَرَّد الخبر عن الفاء ، فإنَّ المعنى : إن الذي ينفق ماله لله ، ولا يمنّ ولا يؤذي ، هو الذي يستحق الأجر المذكور ، لا الذي ينفق لغير الله ، ويَمنُّ ويُؤذي بنفقته ، فليس المقام مقام شرطٍ وجزاء ، بل مقام بيان للمستحق دون غيره .

وفي الآية الأخرى : ذَكَرَ الإنفاق بالليل والنهار سرا وعلانية ، فذكر عموم الأوقات وعموم الأحوال ، فأتى بالفاء في الخبر ليدل على أن الإنفاق في أي وقتٍ وُجِدَ من ليلٍ أو نهار ، وعلى أي حالة وُجد من سر وعلانية فإنه سبب للجزاء على كل حال ، فليبادر إليه العبد ولا ينتظر به غير وقته وحاله . ولا يُؤخر نفقة الليل إذا حضر إلى النهار ، ولا نفقة النهار إلى الليل ، ولا ينتظر بنفقة العلانية وقت السر ولا بنفقة السر وقت العلانية ، فإن نفقته في أي وقت وعلى أي حال وجدت سبب لأجره وثوابه ، فتدبر هذه الأسرار في القرآن فلعلك لا تظفر بها [فيما] يمر بك في التفاسير ، والمنة والفضل لله وحده لا شريك له .

* [ردُّ السائل بالقول المعروف والعفو عنه خيرٌ من التصدق عليه ثم إيذائه بالمنِّ والقول] :ـ

ثم قال تعالي : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣] فأخبر أن القولَ المعروف: وهو الذى تَعرفه القلوب ولا تُنكره ، والمغفرة وهي: العفو عمن أساءَ إليك ، خيرٌ من الصَّدقة بالأذى ، فالقول المعروف إحسانٌ وصدقة بالقول ، والمغفرة إحسان بترك المؤاخذة والمقابلة ، فهما نوعان من أنواع الإحسان ، والصدقة المقرونة بالأذى حسنة مقرونة بما يبطلها ، ولا ريب أنَّ حسنتين خير من حسنة باطلة .

ويدخل في المغفرة : مغفرته للسائل إذا وَجَدَ منه بعضَ الجفوة والأذى له بسبب رده ، فيكون عفوه عنه خيرًا منْ أن يتصدَّق عليه ويؤذيه. هذا على المشهور من القولين في الآية .

والقول الثاني : أن المغفرة من الله ، أي : مغفرة لكم من الله بسبب القول المعروف والرد الجميل خير من صدقة يتبعها أذى .

وفيها قول ثالث : أي مغفرة وعفو من السائل إذا رُدَّ وتعذر المسئول، خيرٌ من أن ينال بنفسه صدقة يتبعها أذى .

وأوضح الأقوال هوالأول ، ويليه الثاني ، والثالث ضعيف جدًا لأن الخطاب إنما هو للمنفق المسئول لا للسائل الآخذ .

والمعنى أن قول المعروف له والتجاوز والعفو خير لك من أنْ تتصدَّق عليه وتؤذيه .

ثم خَتَم الآية بصفتين مناسبتين لما تضمنتـه فقـال :﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ

حَلِيمٌ ﴾ ، وفيه معنيان : أحدهما أنَّ الله غنيٌّ عنكم لن يناله شيء من صدقاتكم ، وإنما الحظ الأوفر لكم في الصدقة ، فنفعها عائدٌ عليكم لا إليه سبحانه وتعالى ، فكيف يَمنُّ بنفقته ويُؤذي مع غنى اللهالتام عنها ، وعن كلِّ ما سواه ، ومع هذا فهو حليمٌ إذْ لم يُعاجل المانَّ بالعقوبة ، وضمن هذا الوعيد والتحذير .

والمعنى الثاني : أنه سبحانه وتعالى مع غناه التام من كل وجهٍ فهو الموصوف بالحلم والتجاوز والصفح ، مع عطائه الواسع وصدقاته العميمة ، فكيف يُؤذي أحدُكم بمنِّه وأذاه ، مع قلة ما يعطي ونزارته وفقره !

*** [المنَّ والأذى مما يُحبط الصدقات] :ـ**

ثم قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٦٤] تضمنت هذه الآية الإخبار بأن المن والأذى يحبط الصدقة ، وهذا دليل على أنَّ الحسنة قد تحبط بالسيئة مع قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ [الحجرات: ٢] وقد تقدم الكلام على هذه المسألة في أول هذه الرسالة فلا حاجة إلى إعادته .

وقد يقال : إنَّ المنَّ والأذى المقارن للصَّدقة هو الذي يُبطلها دون ما يلحقها بعدها ، إلا أنه ليس في اللفظ ما يدل على هذا التقييد ، والسياق

يدل على إبطالها به مطلقًا ، وقد يقال : تمثيله بالمُرَائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر يدل على أن المنّ والأذى المُبْطل هو المقارن كالرياء وعدم الإيمان ، فإنّ الرياء لو تأخر عن العمل لم يبطله .

ويجاب عن هذا بجوابين : أحدهما : أن التشبيه وقع في الحال التي يَحْبط بها العمل ، وهي حال المرائي والمانّ المؤذي في أن كل واحد منهما يحبط العمل .

الثاني : أنّ الرياء لا يكون إلا مقارنًا للعمل، لأنه « فِعال » من الرؤية التي صاحبها يَعمل لِيَرَى الناسُ عمله فلا يكون متراخيًا ، وهذا خلاف المن والأذى فإنه يكون مُقارنا ومُتراخيا ، وتراخيه أكثر من مُقارنته.

وقوله : ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ﴾ إما أن يكون المعنى كإبطال الذي يُنفق فيكون قد شبَّه الإبطالَ بالإبطال ، أو المعنى : لا تكونوا كالذي يُنفق ماله رئاء الناس ، فيكون تشبيهًا للمنفق بالمنفق .

وقوله : ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي مثل هذا المنفق الذي قد بَطَلَ ثواب نفقته ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ : وهو الحَجَر الأملس ، وفيه قولان : أحدهما : أنه واحد، والثاني : جَمْع صفوة ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ :وهو الأملس الذي لا شيءَ عليه من نباتٍ ولا غيره ، وهذا من أبلغِ الأمثال وأحسنها ، فإنه يتضمن تشبيه قلبَ هذا المُنفق المُرائي ـ الذي لم يَصدر إنفاقه عن إيمان بالله واليوم الآخر ـ بالحجر لشدته وصلابته وعدم الانتفاع به .

وتضمن تشبيه ما عَلق به من أثر الصدقة بالغبار الذي عَلِقَ بذلك الحجر ، والوابلُ الذي أزال ذلك التراب عن الحجر فأذهبه بالمانع الذي أبطل صدقته وأزالها ، كما يُذْهب الوابلُ الترابَ الذي على الحجر فيتركه

صَلْدًا فلا يقدر المنفق على شيء من ثوابه لبطلانه وزواله .

وفيه معنى آخر وهو أن المنفق لغير الله هو في الظاهر عامل عملاً يرتب عليه الأجر ، ويزكو له كما تزكو الحبة التي إذا بُذِرتْ في التراب الطَّيب أنبتت سبعَ سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، ولكن وراء هذا الإنفاق مانعٌ يَمنع من نموه ، وزكائه ، كما أن تحت التراب حجرا يمنع من نبات ما يبذر من الحب فيه فلا ينبت ولا يخرج شيئًا .

*** [مثل الذي يُنفق في سبيل الله تعالى لا يريد من الناس جزاء ولا شكوراً ولا يمنُّ ولا يؤذي] :ـ**

ثم قال : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦٥] هذا مَثَلُ الذي مَصْدر نفقته على الإخلاص والصدق ، فإن ابتغاء مرضاته سبحانه هو الإخلاص ، والتَّثبت مِنَ النفس هو : الصِّدقُ في البَذْل ، فإن المنفق يعترضه عند إنفاقه آفتان، إنْ نجا منهما كان مثله ما ذكره في هذه الآية : إحداهما طلبه بنفقته محمدة أو ثناء أو غرضًا من أغراضه الدنيوية ، وهذا حال أكثر المنفقين .

والآفة الثانية : ضعفُ نفسه وتقاعسها وترددها : هل يفعل ، أم لا ؟ فالآفة الأولى تزول بابتغاء مرضاة الله ، والآفة الثانية تزول بالتثبيت ، فإنَّ تثبيت النفس : تشجيعها وتقويتها والإقدام بها على البذل ، وهذا هو صدقها . وطلب مرضاة الله إرادة وجهه وحده وهذا إخلاصها .

فإذا كانَ مصدرُ الإنفاق عن ذلك ، كان مثله كجنة ـ وهي البستانُ الكثير الأشجار ـ فهو مجتنٌّ بها ، أي : مستتر ليس قاعًا فارغًا . والجنة بربوة ـ وهو المكان المرتفع ـ فإنها أكمل من الجنة التي بالوهاد

والحضيض ، لأنها إذا ارتفعتْ كانت بمدرجة الأهوية والرياح ، وكانت ضاحيةً للشمس وقت طلوعها واستوائها وغروبها ، فكانت أنضجَ ثمرًا وأطيبه وأحسنه وأكثره ، فإن الثمار تزداد طيبا وزكاء بالرياح والشمس ، بخلاف الثمار التي تَنشأ في الظلال .

وإذا كانت الجنة بمكان مرتفع لم يُخش عليها إلا من قلة الماء والشراب فقال تعالى : ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وهو المطرُ الشَّديد العظيم القدر فأدتْ ثمرتها ، وأعطت بركتها فأخرجت ثمرتَها ضعفي ما يُثمر غيرها أو ضعفي ما كانت تثمر بسبب ذلك الوابل ، فهذا حالُ السابقين المقربين .

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ فهو دون الوابل ، فهو يكفيها لكرَم منبتها، وطيبِ مغرسها فتكتفي في إخراج بركتها بالطَّل ، وهذا حال الأبرار المقتصدين في النفقة ، وهم درجات عند الله ، فأصحاب الوابل أعلاهم درجة ، وهم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ، ويُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة .

وأصحاب الطَّل مقتصدوهم .

فمثَّل حال القِسمين وأعمالهم بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة بالوابل والطَّل . وكما أن كل واحد من المطرين يوجب زكاء أو ثمر الجنة ونحوه بالأضعاف فكذلك نفقتهم ـ كثيرة كانت أو قليلة ـ بعد أنْ صَدَرتْ عن ابتغاءِ مرضاة الله والتثبيت من نفوسهم ، فهي زاكيةٌ عند الله نامية مضاعفة.

واختلف في الضِّعفين ، والصواب أن الضعفين هما المثلان فقط : الأصل ومثلــه ، وعليه يدل قــوله تعــالى : ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]. أي : مِثْلين ، وقوله تعالى : ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾

[الاحزاب: ٣٠] أي مثلين ، ولهذا قال في الحسنات: ﴿ **نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ** ﴾ [الاحزاب: ٣١] وأما ماتوهموه من استواء دلالة المفرد والتثنية فوهم منشأه ظن أن الضعف هو المثل مع الأصل ، وليس كذلك ، بل المثل له اعتباران : إن اعتبر وحده فهو ضعف ، وإن اعتبر مع نظيره فهما ضعفان والله أعلم .

واختلف في رافع قوله : ﴿ **فَطَلٌّ** ﴾ فقيل : هو مبتدأ خبره محذوف أي : وطلُّه يكفيها ، وقيل : خبر مبتدأه محذوف ، فالذي يُرويها ويصيبها طَلٌّ ، والضمير في ﴿ **أَصَابَهَا** ﴾ إما أن يرجع إلى الجنة أو إلى الربوة وهما متلازمان (١).

٣ ـ روى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « **الكَمَأَةُ من المنِّ ، وماؤُها شفاءٌ للعين** » (٢).

قال أبو عبيد : « الكمأة من المن » يقال ـ والله أعلم ـ إنه إنما شبهها بالمن الذي كان يَسقط على بني إسرائيل ، لأن ذلك كان يَنْزل عليهم عفوًا بلا علاجٍ منهم ، إنما كانوا يصبحون وهو بأفنيتهم فيتناولونه (٣).

وكذلك « الكمأة » ليس على أحدٍ منها مؤنة في بَذْرٍ ولا سقي ولا غيره ، وإنما هو شيء يُنبته الله في الأرض حتى يصير إلى مَنْ يَجْتنيه (٤).

* * *

---

(١) « طريق الهجرتين وباب السعادتين » (ص٣٦٥ ـ ٣٧٠) باختصار يسير .

(٢) سبق تخريجه قريبا .

(٣) كما قال عز وجل ممتنًّا عليهم : ﴿ **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ٥٧].

(٤) « غريب الحديث » (٢/ ١٧٣) .

الحَيِيُّ
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(١٢)

* **المعنى اللغوي :**

استَحْياه واستَحْيا منه ، بمعنى ، من الحَيَاء .

ويقال استَحَيتُ بياء واحدة ، وأصله استَحييتُ مثل : استَعْيَيت ، فأعلُّوا الياء الأولى وألقَوا حركتها على الحاء ،

وقال أبو الحسن الأخفش : استَحَى بياءٍ واحدة : لغة تميم ، وبياءين لغة أهل الحجاز ، وهو الأصل .

قال الأزهري : والقرآن نزل بهذه اللغة الثانية ، في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً ﴾ [البقرة: ٢٦].

والحيا مقصورٌ : المطرُ والخصب .

والحياءُ ممدود : الاستِحْياء .

ورَجَلٌ حَيِيٌّ ذو حياء ، بوزن فَعيل .

وامرأة حَيِيَّةٌ [١].

وعرف الراغب الحياء عند المخلوق بقوله : انْقباضُ النفس عن القبائح وتركه لذلك [٢].

---

(١) « الصحاح » (٦/ ٢٣٢٤) ، و« اللسان » (٢/ ١٠٧٩ ـ ١٠٨٠) مادة (حيا) .

(٢) « المفردات » (ص ١٤٠) .

* وروده في الحديث الشريف :

١ ـ ورد في حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ رأى رَجلاً يغتسلُ بالبَرَازَ بلا إزار ، فصعد المنبر ، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ : « **إنَّ الله عز وجل حَيِيٌّ ستِّيرٌ يُحبُ الحياءَ والسَّتْرَ ، فإذا اغْتَسَلَ أحدُكم فَلْيَسْتَتِرْ** »(١).

٢ ـ وفي حديث سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ ربَّكم تبارك وتعالي حَيِيٌّ كريم ، يَستحي من عَبْدِهِ إذا رفع يَديه إليه أنْ يَردَّهما صِفْرًا** »(٢).

* وقد ورد بصيغة الفعل في الكتاب العزيز في قوله عز وجل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٦].

١ ـ وفي حديث أبي واقدِ اللَّيثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجد والناسُ معه إذْ أَقبل ثلاثةُ نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله

(١) حديث صحيح ، اخرجه أبو داود (٤/٤٠١٢) ، والنسائي (١/ ٢٠٠) ، والبيهقي من طريق أبي داود (١/١٩٨) عن النُّفيلي حدثنا زهير عن عبد الملك بن أبي سليمان العَرزمي عن عطاء عن يعلى به .
ورجاله ثقات ، عطاء هو ابن أبي رباح ، وزهير هو ابن معاوية .
وانظر بقية تخريجه في كتابنا « إبطال التأويلات » (٢/ ٤١١) .

(٢) حديث صحيح ، اخرجه أبو داود (٢/١٤٨٨) ، ومن طريقه البيهقي في « الأسماء والصفات» (ص ٩٠) ، والترمذي (٥/٣٥٥٦) ، وابن ماجه (٣٨٦٥) ، وصححه ابن حبان (٢٤٠٠) ، والحاكم (١/ ٤٩٧) ، والخطيب في تاريخه (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) من طرقٍ عن جعفر بن ميمون عن أبي عثمان النهدي عن سلمان مرفوعًا به .
قال الذهبي في « العلو » (ص ٥٢) : هذا حديث مشهور .
وحسنه الحافظ في « الفتح » (١١/١٤٣) وهو كما قال .
وله طرق أخرى وشواهد يتقوى بها ، انظر : « إبطال التأويلات » الموضع السابق .

ﷺ وذهبَ واحدٌ ، قال : فوقَفَا على رسول الله ﷺ فأما أحدُهما فرأى فُرْجةً في الحَلْقَةِ فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خَلْفهم ، وأما الثالثُ فأدْبرَ ذاهبًا ، فلما فَرغَ رسول الله ﷺ قال : « **ألا أُخبركم عن النَّفَر الثلاثة؟ أما أحدُهم فآوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستَحيا فاستَحيا اللهُ منه ، وأما الآخر فأعْرضَ فأعْرضَ الله عنه** » (1).

٢ ـ وفي حديث أم سلمة رضى الله عنها قالت : جاءت أم سُليم إلى النبي ﷺ فقالت : يا رســول الله ! إنَّ الله لا يَستحيي من الحقِّ ، فهل على المرأة من غُسلٍ إذا احتلمت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **نعم إذا رأتِ الماء ...** » (2).

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال ابن الجوزي : الحياء بالمد : الانقباض والاحتشام ، غير أن صفات الحق عز وجل لا يُطَّلع لها على ماهية ، وإنما تُمَرُّ كما جاءت ، وقد قال النبي ﷺ : « **إن ربَّكم حيي كريم** » (3).

وقال ابن القيم (4):

وهو الحَيِيُّ فليسَ يَفْضَحُ عَبْدَه ... عند التَّجاهــرِ منه بالعِصْيان

لكنــه يُلْقِــي عليــه سِتْــرهُ ... فهو السِّتِّيرُ وصاحبُ الغُفْران

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٦٠ ـ ٩٦١) ، ومن طريقه البخاري في « العلم » (١/ ١٥٦) ، وفي «الصلاة» (١/ ٥٦٢) ، ومسلم في « السلام » (٤/ ١٧١٣) عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أن أبا مُرة مولى عقيل بن أبي طالب أخبره عن أبي واقد الليثي به .

(٢) رواه مسلم في « الحيض » (١/ ٢٥١) .

(٣) « زاد المسير » (١/ ٥٤) .

(٤) « النونية » (٢/ ٢٢٧) بشرح أحمد بن عيسى .

وقال المباركفوري : قوله : « إن الله حيي » فَعيلٌ من الحياء ، أي كثير الحياء .

ووصفه تعالى بالحياء يُحمل على ما يَليق له ، كسائرِ صفاته ، نُؤمنُ بها ولا نكيفها [1].

وذكر « الاستحياء » في صفات الله تعالى شيخ الحرمين : أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الذي سمّاه « الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول » وكان من أئمة الشافعية، ونقله إقرارًا له شيخ الإسلام ابن تيمية [2].

*** من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ إثبات صفة الحياء لربنا تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وكماله، إثباتًا من غير تمثيل لها بخلقه .

قال الإمام أبو يعلى الفراء بعد أنْ ساق الأحاديث الواردة في صفة الحياء : اعلم أنه غير ممتنعٍ وَصْفُ الله تعالى بالحياء ، لا على معنى ما يُوصف به المخلوقين من الحياء الذي هو انقباضٌ وتغيُّرٌ وخَجَل ، لاستحاله كونه جسمًا متغيرًا تحلُّه الحوادث [3].

لكن نُطلق هذه الصفة كما أطْلقنا وَصفه سبحانه بالإرادة وإنْ خالفت

---

(١) « تحفة الأحوذي » (٩/ ٥٤٤) .

(٢) « مجموع الفتاوى » (٤/ ١٨١) .إذْ قال في أول كلامه : وقد ذكرنا في غير هذا الجواب ، مذهب سلف الأمة وأئمتها بألفاظها وألفاظ من نقل ذلك من جميع الطوائف ، بحيث لا يبقى لأحدٍ من الطوائف اختصاص بالإثبات . ومن ذلك : ما ذكر شيخ الحرمين أبو الحسن محمد بن عبد الملك ... إلخ

(٣) الصواب الإعراض عن ذكر هذا النفي ، لعدم وروده في الكتاب أو السنة .

إرادة المخلوقين ، لأن إرادته تقتضي وجوب المراد ، وإرادتنا لا تقتضي وجوبه .

وكذلك علمه يقتضي العلم بالمعدوم والموجود خلاف علمنا[1] .

وقال الهراس : ورد في السنة وَصْفه تعالى بالحياء ، كقوله ﷺ : «**إن الله حيي يستحي من عبده إذا مدَّ يديه إليه أن يردهما صِفْرا** » . وكقوله عليه السلام في شأن النفر الثلاثة الذين وقفوا على مجلسه : « **أما أحدُهم فأقبل فأقبل الله عليه ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله عز وجل منه ، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عز وجل عنه** » .

وحياؤُه تعالى وصفٌ يليق به ، ليس كحياء المخلوقين الذي هوَ تغير وانكسار يَعْتري الشخص عند خوفِ ما يُعاب أو يُذم ، بل هو تركُ ما ليس يتناسب مع سعةِ رحمته ، وكمالِ جوده وكرمه ، وعظيم عفوه وحلمه .

فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقرُ شيءٍ إليه ، وأضعفه لديه ، ويستعين بنعمه على معصيته ، ولكن الربَّ سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه ، يَستحي من هَتْكِ ستره وفضيحته ، فيستره بما يُهيؤه له من أسباب السَّتر ، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر ، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « **إنَّ الله عز وجل يُدْني المؤمنَ فيضع عليه كَنَفه ثم يسأله فيما بينه وبينه : ألم تفعل كذا يوم كذا ؟ حتى إذا قرَّره بذنوبه ، وأيقن أنه قد هلك ، قال له : سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغْفرها لك اليوم** » [2].

وكذلك يستحي سبحانه من ذي الشَّيبة في الإسلام أنْ يُعذبه [3].

---

(١) « إبطال التأويلات » (٢/ ٤١٢) .

(٢) الحديث في الصحيحين .

(٣) ضعيف جدا ، أخرجه ابن حبان في « المجروحين» (١/ ١٦٨)، ومن طريقه ابن الجوزي =

ويستحي ممن يدعوه ويمدُّ إليه يديه أن يردهما خاليتين .

وهو من أجل أنه حَيِيٌّ ستير : يحب أهل الحياء والسَّتر من عباده ، فمن سَتَر مسلمًا ستر اللهُ عليه في الدنيا والآخرة ، ويكره المجاهرة بالفسوق والإعلان بالفاحشة ، وإنَّ من أَمْقتِ الناس عنده من بات على معصيةٍ والله يَسْتره ، ثم يُصبح فيكشف ستر الله عليه .

وقد توعَّد الذين يُحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا بأن لهم عذابًا أليمًا في الدنيا والآخرة [1].

وفي الحديث : « **كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين** » [2] [3].

٢ ـ أوَّلَ كثير من العلماء صفة الحياء الثابتة له سبحانه في الأحاديث الصحيحة المتقدمة : بالترك تارة وبالكراهية تارة ، وبالرحمة تارة ، وعدم

= في «الموضوعات» (١/١٧٧) عن سويد بن عبد العزيز عن نوح بن ذكوان عن أخيه أيوب ابن ذكوان عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ عن الله عز وجل : « إني لأستحي من عبدي وأمتي يشيب رأس أمتي وعبدي في الإسلام ثم أعذبهما في النار ... » قال ابن حبان عن أيوب بن ذكوان : منكر الحديث .

وفيه أيضًا سويد بن عبد العزيز وهو ضعيف .

وله طرق أخرى ، انظر : « إبطال التأويلات » (٢/ ٤١٠ ـ ٤١١) .

(١) في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنَّ الَّذينَ يُحبُّونَ أَن تَشيعَ الْفَاحِشَةُ في الَّذينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ في الدُّنْيَا وَالآخرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور: ١٩] .

(٢) وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كلُّ أُمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجلُ بالليل عملاً ثم يصبح وقد سَتَره الله ، فيقول : يا فلان عملتُ البارحةَ كذا وكذا ، وقد بات يستره ربُّه ويُصبح يكشف سترَ الله عنه » .

رواه البخاري في « الأدب » (١٠/ ٤٨٦) ، ومسلم في « الزهد » (٤/ ٢٢٩١) .

(٣) « شرح النونية » (٢/ ٨٠ ـ ٨١) للشيخ محمد خليل هراس رحمه الله تعالى .

العقاب والعذاب أخرى ، وكلها من لوازم الحياء .

أ ـ منهم الحليمي في قوله ﷺ : « **إنَّ الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً** » .

قال : ومعناه أنه يكره ! أن يردَّ العبد إذا دعاه فسأله ما لا يمتنع في الحكمة إعطاؤه إياه ، وإجابته إليه ، فهو لا يفعل ذلك ، إلا أنه لا يخاف من فعله ذمًّا ، كما يخافه الناس فيكرهون لذلك فعلَ أمورٍ وتركَ أمور ، فإنَّ الخوف غير جائز عليه [1].

ب ـ والبيهقي في قوله : « **فاستحيا فاستيحا الله منه** » قال : أي جازاه على استحيائه بأن ترك عقوبته على ذنوبه [2].

جـ ـ والنووي في قوله ﷺ : « **وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه** ... » الحديث .

قال : أي رَحِمه ولم يُعذِّبه ، بل غَفر ذنوبه .

وقيل : جازاه بالثواب [3].

د ـ والحافظ ابن حجر في الحديث نفسه قال : أي رَحِمه ولم يُعاقبه [4].

هـ ـ والأُقليشي إذْ يقول : وأما وصف الله تعالى بأنه « حيي » فوزنه فعيل من الحياء ، وهذا الوصف في حق الله تعالى مُتأوَّل !!

---

(١) نقله البيهقي عنه في « الأسماء » (ص٩١) ، والقرطبي في « الأسنى » (٢/ورقة ٤٢٢ ب) مع اختلاف في أوله .

(٢) الكتاب « الأسنى » (٢/ورقة ٤٢٣ أ) .

(٣) شرحه على مسلم (١٤/١٥٩) .

(٤) « الفتح » (١/١٥٧) ، وبنحوهما قال الراغب كما في « الذريعة » (ص ١٨٨) .

إذْ العبد هو الموصوف بالحياء ، لأنها حالة يجدها العبد في نفسه ، تَحمله على إجلال المُسْتَحْيا منه .

ولما كان الله تعالى مُتكرِّمًا على سائله ، وقاضيًا حوائج داعيه ، لا يردهم بكرمه ، وَصَفَ نفسه بالحياء الذي يُوصف به مَن كَرُمت نفسه ، وكانت له سَجِيةٌ حيِّيه ، فإنه من أوصاف المدح في الخَلْق ، وكل وصفٍ كان للمخلوق حسنًا ، فللّهِ منه الحظُّ الأكمل ، وإنْ كان فيه إيهامٌ فإنه في حقه متأوَّل .

وقد وَصفَ نفسه بأنه يستحي من العبد ، ووصف نفسه بأنه لا يستحيي من الحقِّ ، فحياؤه من عبده يرجع إلى قضاء حاجته ، بصفةِ كرمه ، وكونه لا يَستحيي من الحق يرجع إلى صفة عَدْله ، القاضية بجريان الحق على أهله ، ولكلٍّ صفةٍ مقام ، وكيف ، فكان هذا الوصف من أوصاف الأفعال ، لأنه عبارةٌ عن إظهار كرمه ، وإدْرار نِعَمه [1].

و ـ والسندي قال : « حيي » بكسر أولى الياءين مخففة ، ورفع الثانية مشددة ، أي : الله تعالى تاركٌ للقبائح ، ساتر للعيوب والفضائح، يحب السَّتر من العبد ، ليكون مُتخلِّقًا بأخلاقه تعالى !! فهو تعريضٌ للعباد ، وحث لهم على تحري الحياء [2].

---

(١) « الكتاب الأسنى » (٢/ ورقة ٤٢٢ ب) .

وقد أوَّلَ الحياء بلوازمه : من إجابة داعيه بكرمه وإحسانه ، وحبه لجريان الحق لعدله والأصل أن تثبت الصفة لله تعالى ثم تثبت لوازمها .

(٢) حاشيته على النسائي (١/ ٢٠٠) .

وقوله : « ليكون متخلقًا بأخلاقه تعالى » . من عبارات الفلاسفة وأهل الكلام ، ولم يأت في الكتاب ولا السنة ولا في أقوال سلف الأمة القول بأن لله اخلاقًا !! وإنما له نعوت كمال ، وصفات جلال ، فتنبه ! =

وغيرهم ممن أخطأ في هذا الباب ، عفا الله عنا وعنهم بمنِّه وكرمه .

٣ ـ ولما كان الله تعالى موصوفًا بالحياء ، فإنه يحبُّ أهلَه والمتَّصفين به من عباده ، كما ذكرنا سابقًا أنه تعالى عليمٌ يحبُّ العلماء ، كريمٌ يحب الكرماء ، حليم يحب الحلماء ، جميل يحب الجمال .

وقال أبو موسى رضي الله عنه : اللهم إنك مؤمنٌ تحب المؤمن، ومهيمن تحب المهيمن ، سَلامٌ تحب السَّلام ، صادقٌ تحبُّ الصادق [(١)].

بل قد جعله رسول الهُدى ﷺ شُعبةً من شُعب الإيمان ، وخصلةً من خصال عباد الرحمن .

فقال ﷺ : « **الإيمـانُ بِضعٌ وستـون شُعْبةً ، والحيـاءُ شُعبةٌ من الإيمان** » [(٢)].

ومرَّ ﷺ على رجلٍ من الأنصار وهو يَعظُ أخاه في الحياء ـ وفي رواية : يقول : إنك لتستحي حتى كأنه يقول : قد أضرَّ بك ـ فقال

= قال ابن القيم بعد أن ذكر أن أدعية الرسل مشتملة على دعاء الله تعالى بأسمائه والثناء عليه بها : وهذه العبارة أولى من عبارة من قال : يتخلَّق بأسماء الله ، فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة .

وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان وهي : التَّعبد ، وأحسن منها : العبارة المطابقة للقرآن وهي : الدعاء ، المتضمن للتعبد والسؤال .

فمراتبها أربعة : أشدها إنكارًا عبارة الفلاسفة وهي التَّشبه ، وأحسن منها عبارة من قال : التخلق ، وأحسن منها عبارة من قال : التعبد ، وأحسن من الجميع : الدعاء ، وهي لفظ القرآن اهـ . « بدائع الفوائد » (١/ ١٦٤) .

(١) أثر صحيح ، رواه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٦٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٥٩) .

(٢) رواه البخاري في « الإيمان » (١/ ٥١) ، ومسلم في « الإيمان » (١/ ٦٣) من حديث أبي هريرة وزاد فيه : « فأفضلُها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء ... » .

رسول الله ﷺ : « **دَعْهُ ، فإن الحياء من الإيمان** »[1].

وكان هو ﷺ من أشدِّ الناس حياءً ، كما وصفه أصحابه ، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً من العَذْراءِ في خِدْرِها »[2].

أي أشد حياء من البكر إذا دُخل عليها في خلوتها[3].

فإنْ قيل : الحياء من الغرائز ، فكيف جُعل شعبةً من الإيمان ؟

أجيب بأنه : قد يكون غريزةً وقد يكون تخلُّقا ، ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلمٍ ونية ، فهو من الإيمان لهذا .

ولكونه باعثًا على فعل الطاعة وحاجزًا عن فعل المعصيةِ[4].

ولا يقال : رب حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير ، لأنَّ ذاك ليس شرعيا .

فإن قيل : لِمَ أفرده بالذكر هنا ؟

أجيب بأنه : كالداعي إلى باقي الشعب ، إذْ الحيي يخاف فضيحة

---

(١) رواه البخاري في « الإيمان » (١/ ٧٤) ، وفي « الأدب » (١٠/ ٥٢١) ، ومسلم في «الإيمان » (١/ ٦٣) من حديث سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « المناقب » (٦/ ٥٦٦) ، وفي « الأدب » (١٠/ ٥١٣ ، ٥٢١) ، ومسلم في « الفضائل » (٤/ ١٨٠٩ ـ ١٨١٠) وزاد : وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه .

(٣) معنى كلام الحافظ في « الفتح » (٦/ ٥٧٧) وقال : ومحل وجود الحياء منه ﷺ في غير حدود الله ، ولهذا قال للذي اعترف بالزنا : أنكتها ، لا يكني ، كما سيأتي بيانه في الحدود انتهى . وانظر « الحدود » (١٢/ ١٣٥) .

(٤) كما ورد في تعريف الحياء أنه : خُلُقٌ يَبعث على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ، « الفتح » (١/ ٥٢) .

ولهذا جاء في الحديث الآخر : « الحياء خيرٌ كله » .

الدنيا والآخرة ، فَيَأْتَمر ويَنزجر [1].

٤ ـ اعلم ـ رحمني الله وإياك ـ أن أعظمَ الحياءِ ينبغي أن يكون من الله تعالى ، الذي نتقلب في نعمه وإحسانه الليل والنهار ، ولا نستغني عنه طرفة عين ، ونحن تحت سمعه وبصره ، لا يغيب عنه من حالنا وقولنا وفعلنا شيء ، كما قال عز وجل : ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [يونس: ٦١].

وقال بعض السلف : عَلِمتُ أن الله تعالى مطلعٌ علي فاستَحييتُ أن يراني على معصية .

وقد أحسن من قال :

وإذا خَلَوتَ بريبـةٍ في ظُلمـةٍ والنَّفسُ داعيةٌ إلى العصيان
فاستْحي من نَظَرِ الإلهِ وقُلْ لهـا إنَّ الذي خَلَقَ الظَّلام يَراني

وحكي عن بعض السلف : خفِ الله على قَدْر قدرته عليك ، واستحي منه على قَدر قربه منك [2].

قال الراغب : والذي يستحي منهم الإنسان ثلاثة :

البشر : وهو أكثر ما يستحي منه .

ثم نفسه .

ثم الله عز وجل .

---

(١) « الفتح » (١/ ٥٢) .

(٢) المصدر السابق (١/ ٧٥) .

ومن استحيا من الناس ولم يستحي من نفسه ، فنفسه أخسُّ عنده من غيره .

ومن استحيا منهما ولم يستحي من الله عز وجل ، فلعدم معرفته به .

فإن الإنسان يستحي ممن يُعظمه ويَعلم أنه يراه ، ويَسمع نجواه ، ومَنْ لا يعرف الله فكيف يَسْتعظمه ؟ وكيف يعلم أنه مطلع عليه ؟

وقوله ﷺ : « **استحيوا من الله حق الحياء** »[1] في ضمنه حثٌّ على معرفته .

وقال الله عز وجل : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ** ﴾ [العلق: ١٤] تنبيهًا على أن العبدَ إذا علم أن ربه يراه استحيا من ارتكاب الذنب .

وسُئل الجُنيد عما يُولِّد الحياء من الله تعالى ، فقال : رؤية العبد آلاءَ الله عليه ، ورؤية تقصيره عن شكره [2].

قال القرطبي : فيجب على كلِّ مكلف أن يستحي من خَالقه ، وذلك بأن لا يراه حيث نهاه ، وذلك أن المؤمن يقتضي تعظيم من آمن به ، فينزجر عن القبائح حياءً من نَظَره إليه ، حتى كان بعضهم لا يغتسل إلا وعليه مِئْزرٌ يستره ، ولا يقوم قائمًا منتصبًا بل يتضامُّ ما استطاع في غُسْله[3] .

---

(١) يأتي تخريجه .

(٢) « الذريعة إلى مكارم الشريعة » (ص ١٨٨ ـ ١٨٩) ط دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٠ هـ .

(٣) كما جاء في حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال : قلت : يانبي الله ! عوراتُنا ما نأتي منها وما نَذَر ؟ قال : « احفظْ عورتَك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » قلتْ : يا رسول الله ! إذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال : « إنْ استطعت أن لا يَراها أحدٌ فلا يراها » قال قلت : يانبي الله ! إذا كان أحدُنا خاليا ؟ قال : « فالله أحقُّ أن يُستحيا منه » وفي رواية : « فالله أحق أن يَستحي منه الناس » . =

وكان موسى عليه السلام حَيِيًّا ستيرا يغتسل بناحيةٍ من قومه [1].

وروى الترمذي : عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « استَحيوا من الله حقَّ الحياء » قال فقلنا : إنا نَستحي والحمد لله ، قال : «ليس ذاك ! ولكن الاستحياء من الله حقَّ الحياء ، أنْ تحفظَ الرأسَ وما وَعَى ، والبطنَ وما حوَى ، وتَذكرَ الموتَ والبلَى ، ومَنْ أرادَ الآخرة تركَ زينةَ الدنيا ، فمن فعل ذلك فقدِ استحيا من الله حقَّ الحياء » .

قال : حديث غريب [2].

فمن كَثُر من الله حياؤه انقبضتْ نفسُه عن مجاهرتِه بالعصيان ، إذْ علمه معه في كل مكانٍ فمن عصاه فقد جاهره ، ثم مهما أفشى معصيته في الخَلْق فِعلا وقولا فقد أعظم المجاهرة ، إذْ من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله ، ولذلك كان الحياء الغريزي محموداً في العبد لكونه منقبضًا به عن مجاهرة الخَلْق فيما يُنكرونه من الفعل .

= وإسناده حسن ، رواه أحمد (٥/ ٣ ـ ٤) ، والترمذي (٢٧٦٩ ـ ٢٧٩٤) وغيرهما .

(١) أخرجه البخاري في « الأنبياء » (٦/ ٤٣٦)، وفي « التفسير » مختصراً (٨/ ٥٣٤) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى كان رجلا حَيِيًا ستيرًا لا يُرى من جلده شيء استحياء منه ، فآذاه مَن آذاه من بني إسرائيل فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده : إما برص وإما أُدرَة وإما آفة ... » الحديث .

(٢) حديث حسن ، رواه الترمذي في « صفة القيامة » (٢٤٥٨) ، وأحمد (١/ ٣٨٧) ، وأبو يعلى (٨/ ٤٦١) ، والحاكم (٤/ ٣٢٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٦/ ٧٧٣٠) (٨/ ١٠٥٦١) ، والبغوي في « شرح السنة » (١٤/ ٢٣٤) وفي سنده : الصباح بن محمد الأحمسي الكوفي ، ضعيف .

لكن له طريق آخر ، رواه الطبراني في « الكبير » (١٠/ ١٨٨) ، وفي « الصغير » (١/ ١٧٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٠٩) يتقوى به .

وله شاهد مرسل ، انظر تعليقنا على كتاب « الورع » لابن أبي الدنيا رقم (٥٩) .

وفي البخاري عن أبي مسعود قال : قال النبي ﷺ : « إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلام النبوة الأُولى : إذا لم تَسْتحي فاصْنَعْ ما شئت »[1].

وعن ابن عمر مَرَّ النبي ﷺ على رَجلٍ وهو يعاتبُ في الحياء، يقول: إنَّك تستحي حتى كأنه يقول : قد أضرَّ بك ، قال رسول الله ﷺ : «دَعْه! فإن الحياءَ من الإيمان »[2][3].

٥ ـ والوقاحة مذمومةٌ بكل إنسان ، إذْ هي انسلاخٌ من الإنسانية .

وحقيقتها : لجاج النَّفس في تعاطي القبيح .

واشتقاقه : من حافرٍ وَقَاحٌ ، أي : صُلْب .

وبهذه المناسبة قال الشاعر :

يا ليتَ لي من جِلْد وجْهك رِقْعةً ... فأَقُدُّ منها حَافـرًا للأشْهَـبِ

---

(١) رواه البخاري في « الأنبياء » (٦/ ٥١٥) ، وفي « الأدب » (١٠/ ٥٢٣) .

وقوله : « من كلام النبوة الأولى » أي مما اتفق عليه الأنبياء .

وقوله : « فاصنع ما شئت » هو أمر بمعنى الخبر ، أو هو للتهديد أي : اصنع ما شئت فإنَّ الله يجزيك ، أو معناه : انظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان مما لا يُستحى منه فافعله ، وإن كان مما يستحي منه فدعه . « الفتح » (٦/ ٥٢٣) .

وقد قال أبو عبيد في « غريب الحديث » (٣/ ٣١ ـ ٣٢) : إنما وجهه عندي أنه اراد بقوله: « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » إنما هو مَن لم يستحي صَنَع ما شاء ، على جهة الذَّم لترك الحياء ، ولم يُرد بقوله: « فاصنع ما شئت » أن يأمر بذلك أمرًا ، وهذا جائز في كلام العرب أن يقول : افعل كذا وكذا ، وليس يأمره ، ولكنه أمر بمعنى الخبر ، ألم تسمع حديث النبي عليه السلام : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » أي : كان له مقعد من النار ، إنما هي لفظة أمرٍ على معنى الخبر وتأويل الجزاء ، وإنما يراد من الحديث أنه يحث على الحياء ويأمر به ويعيب تركه اهـ .

(٢) تقدم تخريجه قريبًا .

(٣) « الكتاب الأسنى » (٢/ ورقة ٤٢٣ أ ـ ب) .

وما أصدق قول الشاعر :

صَلاَبَةُ الوجهِ لم تَغْلبْ على أحدٍ إلا تكَاملَ فيه الشَّرُّ واجْتَمَعا [1].

* * *

(١) « الذريعة » (ص ١٨٨) للراغب .

السِّتِّير
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(١٣)

* **المعنى اللغوي :**

سَتَرَ الشيء يَسْتُرُه ويَسْتِره سَتْراً وسَتَراً : أخفاه .

والسَّتْرُ بالفتح : مصدر سَتَرْتُ الشيءَ أسْتُرُه إذا غطيتُه ، فاستَتَر هو .

وتَسَتَّر أي : تغطَّى .

ورجلٌ مَسْتُورٌ وسَتِيرٌ : أي عَفيف ، والجارية سَتِيرة .

والسِّتْر معروف : ما سُتِرَ به ، والجمع أَسْتَار وسُتُور وسُتُر . والسُّتْرُ: التُّرس .

والسُّتْرَةُ ما استَتَرتَ به من شيء كائنًا ما كان [١].

* **وروده في الحديث الشريف :**

١ ـ ورد في حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبَراز بلا إزار ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ : « **إنَّ الله عز وجل حَيِيٌ ستيرٌ، يحبُّ الحياءَ والسَّتر ، فإذا اغتسل أحدكم فَلْيَسْتَتر** » [٢].

وللستير روايتان : إحداهما : كسر السين وتشديد التاء مكسورة .

---

(١) « الصحاح » (٢/٦٧٦)، و « اللسان » (٣/١٩٣٥) ، و « المفردات » (ص ٢٢٣) ، مادة « ستر ».

(٢) سبق تخريجه .

والثانية : فتح السين وكسر التاء مخفَّفة [1].

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال البيهقي : وقوله « ستير » يعني أنه سَاتِرٌ يَسْتر على عباده كثيرًا ، ولا يَفضحهم في المَشاهد .

كذلك يحبُّ من عباده السَّتْر على أنفسهم ، واجتناب ما يَشينهم ، والله أعلم [2].

وقال ابن الأثير : « إن الله حيي ستيرٌ يحب الحياء والستر » : ستير : فعيل بمعنى فاعل ، أي : من شأنه وإرادته حبُّ السَّتر والصون [3].

وقال ابن القيم [4]:

وهو الحَيِيُّ فليس يَفضحُ عَبْدَه عنـد التَّجاهـرِ منه بالعِصْيان
لكنـــه يُلْقـــي عليـــه سِتْـره فهو السِّتِّيرُ وصَاحبُ الغُفْران

وقال المُنَاوي : « ستير » بالكسر والتشديد ، أي : تاركٌ لحب القبائح ، ساتر للعيوب والفضائح ، فعيل بمعنى فاعل .

وجَعْلُه بمعنى مفعول ، أي : مستورٌ عن العيون في الدنيا ، بعيدٌ من السَّوق ، كما لا يَخفى على أهل الذَّوق [5].

---

(١) انظر حاشية سنن أبي داود (٤/٣٠٢) ، و« مختصر السنن » (٦/١٥) للحافظ المنذري بتحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقي رحمهما الله تعالى .

(٢) « الأسماء والصفات » (ص ٩١) .

(٣) « النهاية » (٢/٣٤١) .

(٤) « النونية » (٢/٢٢٧) بشرح احمد بن عيسى .

(٥) « فيض القدير » (٢/٢٢٨) .

* **من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ إن الله تعالى ستِّير يحبُّ السَّتر والصَّون ، فيستر على عباده الكثير من الذنوب والعيوب ، ويكره القبائح والفضائح والمجاهرة بها .

٢ ـ وقد أمر تبارك وتعالى بالسَّتر ، وكره المفاخرة بالمعصية ، أو مجرد محبة ذكرها وشياعها بين المؤمنين .

قال سبحانه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور: ١٩].

أي : الذين يريدون ويقصدون أن تَنْتشرَ الفاحشة في أهل الإيمان وتفشو فيهم ، والفاحشة : هي الفعلة القبيحة ، قيل هي : الزنا ، وقيل: الرمي بالزنا ، ﴿ **لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا** ﴾ مما يصيبهم من البلاء كالشلل والعمى ﴿ **وَالآخِرَةِ** ﴾ من عذاب النار ونحوه .

وفي الآية دليل : على أن أعمال القلب السيئة ، كالحقد والحسد ومحبة شيوع الفاحشة ، يُؤاخذ بها العبد إذا وطَّن نفسه عليها [(١)].

وأخبر الرسول ﷺ أن المجاهر بالمعاصي لا يُعافى منها فقال : « **كلُّ أمتي مُعافى إلا المجاهرين ، وإنَّ من المُجاهَرَة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يُصبح وقد سَتَرهُ الله فيقول : يا فلان عملتُ البارحةَ كذا وكذا ، وقد باتَ يَسْتُره ربُّه ، ويُصبح يكشفُ سترَ الله عنه** » [(٢)].

قال الكرماني : ومحصل الكلام : كلُّ واحدٍ من الأمة يُعفى عن ذنبه، ولا يؤاخذ به إلا الفاسق المُعْلن[(٣)] .

---

(١) انظر : « روح المعاني » (١٨/ ١٢٢) وغيره .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) « الفتح » (١٠/ ٤٨٦) .

وقال ابن بطَّال : في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين ، وفيه ضربٌ من العناد لهم ، وفي الستر بها : السلامة من الاستخفاف ، لأن المعاصي تذل أهلها ، من إقامة الحدِّ عليه إنْ كان فيه حدٌّ ، ومن التعزير إنْ لم يوجب حدًّا ، وإذا تمحَّضَ حقُّ الله فهو أكرمُ الأكرمين ، ورحمته سبقت غضبه ، فلذلك إذا ستره في الدنيا، لم يفضحه في الآخرة .

والذي يُجاهر يفوته جميع ذلك [1].

٣ ـ وأما المؤمن فإنه لو وقع في معصية أو تقصير في واجب بالغ في السَّتْر على نفسه ، كما ورد عن بعض السلف : أنه خرج إلى الصلاة فاستقبله الناس خارجين من المسجد ، فغطَّى وجهه ورجع .

وجاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا سأله : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النَّجوى ؟ قال : « **يَدْنوا أحدُكم من ربه حتى يضع كنَفَه عليه ، فيقول : عملتَ كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، ويقول : عملتَ كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، فيُقرِّره ثم يقول : إني ستَرتُ عليك في الدنيا ، فأنا أغْفرها لك اليوم** » [2].

وفي رواية : « **فإني قد ستَرتُها عليك في الدنيا وإني أغفِرها لك اليوم ، فيُعطى صحيفةَ حَسَناته ، وأما الكفارُ والمنافقون فيُنَادى بهم على رؤُوس الخلائق : هؤلاء الذين كَذَبوا على الله** » [3].

---

(١) المصدر السابق » (٤٨٧/١٠) .

(٢) رواه البخاري في « الأدب » (٤٨٦/١٠) ، وفي « التوحيد » (٤٧٥/١٠) .

(٣) رواها البخاري في « المظالم » (٩٦/٥) ، وفي « التفسير » (٣٥٣/٨) ، ومسلم في «التوبة» (٢١٢٠/٤) .

وقد جاءت البشارة بذلك للمؤمنين : أن مَنْ سَتَرَ الله عيبه في الدنيا، فإنه سيستره في الآخرة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يَسْتُرُ اللهُ على عَبدٍ في الدنيا ، إلا سَتَره الله يوم القيامة »[1].

٤ ـ كما حثَّ ﷺ على الستر على عباد الله ، ورغَّب في ذلك لموافقته رضى مولاه ، وصِفةَ خالقه ، فقال : « ... ومَن سَتَرَ مُسْلمًا سَتَرهُ اللهُ يومَ القيامة »[2].

ولما جاء رجل اليه ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني عَالجتُ امرأةً في أقصى المدينة ، وإني أصبتُ منها مادون أن أمسَّها ، فأنا هذا فاقض فيَّ ماشئت ، فقال له عمر : لقد سَتَرَكَ اللهُ ، لو سَترتَ على نَفسك قال : فلم يَرُدَّ النبي ﷺ شيئًا ، فقام الرجل فانطلق ، فأَتْبعه النبي ﷺ رُجلاً دعاه وتلا عليه هذه الآية : ﴿وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] فقال رجلٌ من القوم : يانبي الله ، هذا له خاصة ؟ قال : « بل للناس كافة »[3].

وسكوته ﷺ على مقولة عمر دليل رضاه ومحبته لها ، إذ هو لا يُقر أحدًا على باطل كما هو معلوم .

ونهى عليه الصلاة والسلام عن تتبع عورات المسلمين والبحث عنها

---

(١) رواه مسلم في « البر والصلة والأدب » (٤/ ٢٠٠٢) .

(٢) رواه البخاري في «المظالم » (٥/ ٩٧) ، ومسلم في « البر والصلة » (٤/ ١٩٩٦) من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه مرفوعًا وأوله : « المُسْلم أخو المسلم ، لا يظلمه ... » .

(٣) رواه مسلم في « التوبة » (٤/ ٢١١٦) من حديث عبد الله رضي الله عنه .

وكشفها ، فقال : « **يا معشرَ من آمن بلسانه ولم يَدْخلِ الإيمانُ قلْبَه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تَتَّبعوا عَوراتهم ، فإنه مَن يَتَّبعْ عوراتهم ، يَتَّبع اللهُ عورته، ومَنْ يتَّبعْ عورتَه يَفْضَحْه في بيته** »[1].

٥ ـ وكان من دعائه ﷺ في هذا الباب : ما حفظه ابن عمر رضي الله عنه قال : لم يكن رسول الله ﷺ يَدَع هؤلاء الدعوات حين يُمسي وحين يُصبح : « **اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي ، وأهلي ومالي ، اللهم استُر عوراتي وآمنْ روعاتي ، اللهم احفَظني من بين يدي ومَن خَلفي ، وعن يميني وشمالي ، ومن فوقي ، وأعوذُ بعظمتك أن أُغتال من تحتي** »[2].

تنبيه : جرى على ألسنة كثير من الناس اسم « ساتر » فيقولون : يا ساتر، ولم يرد هذا الاسم في سُنَّة صحيحة ـ فيما أعلم ـ فينبغي أن يقال: يا ستِّير ، فتنبه!



(١) حديث صحيح ، أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) ، وأبو داود (٥/ ٤٨٨٠) عن الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي برزة الأسلمي مرفوعًا به .

وسنده حسن ، سعيد بن عبد الله صدوق ربما وهم ، قاله الحافظ .

وللحديث طرق أخرى يتقوى بها ، لبسطها موضع آخر .

(٢) حديث صحيح .

انظر تخريجه في الجزء الأول من الكتاب .

القَابِض ـ البَاسِط
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(١٤ ـ ١٥)

* **المعنى اللغوي :**

قَبَضْتُ الشيءَ قَبْضًا : أخذته .

والقَبْضُ : خلاف البسطِ .

ويقال : صار الشيءُ في قبضتك ، أي في مِلْكك .

والانْقباض : خلاف الانبساط .

والقَبْضُ أيضًا : الأخذُ بجميعِ الكفِّ ، والقَبْص : بأطراف الأصابع .

والقَبَضُ بالتحريك : ما قُبِضَ من الأموال والغنائم وغيرها .

وقُبِضَ الرجل : مات ، فهو مَقبوض [١].

وقال الراغب : فقَبْضُ اليد على الشيء جمعُها بعد تناوله .

وقَبْضها عن الشيء جمعُها قبل تناوله ، وذلك إمساكٌ عنه .

ومنه قيل لإمساك اليد عن البذل : قبضٌ .

قال تعالى : ﴿يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي : يمتنعون من الإنفاق[٢].

---

(١) « الصحاح » (٣/ ١١٠٠) ، و« اللسان » (٥/ ٣٥١٢) ، و « غريب الحديث » لأبي عبيد (٤/ ٤٦٨) ، و« اشتقاق الأسماء » للزجاجي (ص٩٧) .

(٢) « المفردات » (ص ٣٩١) .

وأما الباسط :

فالبَسْط نقيضُ القَبْضِ

وبَسَط الشيء : نَشَرَه ، وبالصاد أيضًا .

والبَسْطَةُ : السَّعةُ .

وانْبَسطَ الشيء على الأرض .

وتَبَسَّطَ في البلاد : أي سار فيها طُولاً وعرضًا .

والبِسَاط : ما يُبْسط .

والبَسَاط : الأرض الواسعة .

ورجل بَسِيط اليدين : مُنْبسِطٌ بالمعروف .

وبَسَط يده : مدَّها .

ويَدٌ بِسْطٌ أي مُطْلقةٌ .

وفي قراءة عبد الله « بل يَدَاه بِسْطَانِ » أي : مبسوطتان .

وفلانٌ بَسِيطُ الجسم : فيه سعة وامتداد وزيادة وطول كما في قوله تعالى عن طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧](١).

وقال الراغب :وبَسْط الكفِّ يُستعمل تارةً للطلب نحو : ﴿ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ﴾ [الرعد: ١٤].

وتارةً للأخذ نحو : ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وتارةً للصَّوْلة والضرب ، قال تعالى : ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ [الممتحنة: ٢].

---

(١) « الصحاح » (١١١٦/٣) ، و« اللسان » (٢٨٢/١ ـ ٢٨٤) ، و« اشتقاق الأسماء » للزجاجي (ص٩٩) .

وتارة للبَذْل والإعطاء نحو : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] [(١)].

* وروده في الحديث الشريف :

ورد في حديث أنس رضي الله عنه قال : غَلاَ السِّعْـر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، لو سَعَّرتَ ، فقال : « إنَّ الله هو الخَالقُ القَابِضُ الباسِط الرازق المُسَعِّر ، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يَطْلبني أَحَدٌ بمظْلَمةٍ ظلمتها إياه في دمٍ ولا مالٍ » [(٢)].

وقد وردت فِعلاً في القرآن في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وفي أحاديث كثيرة ، كقوله ﷺ : « إنَّ اللهَ يَبْسطُ يدَه بالليل ، ليتوبَ مُسيء النهار ، ويَبْسط يده بالنهار ليتوب ... » [(٣)].

وقوله ﷺ : « يَقْبضُ اللهُ الأرضَ يوم القيامة ويَطوي السماء بيمينه ... » الحديث [(٤)].

* معنى الاسمين في حق الله تعالى :

قال الزجَّاجي « القابض » اسم الفاعل من قَبَضَ فهو قابض ،

---

(١) « المفردات » (ص ٤٦) .

(٢) حديث صحيح ، أخرجه أحمد (١٥٦/٣ ، ٢٨٦) ، وأبو داود في « البيوع » (٣٤٥١) ، والترمذي في « البيوع » أيضًا (١٣١٤) ، وابن ماجه (٢٢٠٠)، والدارمي (٢٤٩/٢) ، وابن حبان (٤٩٣٥/١١) ، وابن جرير (٣٧٢/٢) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٨٥) ، وفي السنن (٢٩/٦) من طرقٍ عن حماد بن سلمة عن ثابت وقتادة وحميد عن أنس مرفوعًا به .

ورجاله ثقات رجال الشيخين ، سوى حماد فمن رجال مسلم .

(٣) رواه مسلم في « التوبة » (٢١١٣/٤) ، وأحمد (٣٩٥/٤ ، ٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٤) سبق تخريجه في الكتاب .

والمفعول مقبوض ، وذلك على ضروب .

فأما في هذه الآية التي ذُكر فيها هذا الحَرْف في سورة البقرة في قوله عزّ وجل : ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] فقالوا : تأويله : يُقتِّر على مَن يشاء ، ويتوسع على مَن يشاء على حسب ما يرى من المصلحة لعباده.

فالقَبضُ هاهنا : التَّقتير والتَّضييق .

والبسط : التَّوْسعة في الرزق والإكثار منه .

فالله عزَّ وجل القابضُ الباسط ، يُقتِّر على من يشاء ، ويُوسِّع على من يشاء .

ومخرجُ ذلك من اللغة ، أن أصلَ القبض : ضَمُّ الشيء المنبسط من أطرافه ، فيَقْبضه القابضُ إليه أولاً أولاً حتى يَحوزه ويجمعه والبَسط : نَشرُ الشيء المجتمع أو المنضم أو المطْوي .

فمن قُبضَ رزقُه فقد ضُيِّقَ عليه ، ومَن بُسط رزقه فقد فُسح له فيه ، ووُسِّعَ عليه .

ومن ذلك قيل : فلانٌ قَبيض ، أي : بخيل شديد كأنه لا يبسط كفَّه بخير إلى أحد ، ولا يَسمح بذلك ، وفلان باسط الكف ، وباسط الجاه، وإنما يُراد به السخاء وبذله ماله وجاهه [١].

وقال في الباسط : الباسط الفاعل من بسط يَبسط فهو باسط ، فالله عز وجل كما ذكرنا باسط رزق مَن أراد من عباده أن يوسع عليه ، ومقتر على من أراد ، كما يَرى في ذلك من المصلحة لهم ، وهو كما قال عز

(١) « اشتقاق الأسماء » (ص ٩٧) .

وجل : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧].

فهذه الآية قد بيَّنتْ لك معنى الباسط ، وبيَّنت أيضًا أنه عز وجل إنما يَقبض ويَبسط على حسب ما يراه عز وجل من المصلحة لعباده .

والباسط أيضًا : باسطُ الشيء الذي ليس بمفروش يَبسطه ويفرشه ، كما بَسَطَ الأرضَ للأنَام ، وبثَّ فيها أقواتهم [(١)].

وقال الحليمي : ومنها « الباسط » : ومعناه النَّاشر فضله على عباده، يرزق ويوسّع ويَجود ويُفضّل ويُمكّن ويُخوّل ، ويُعطي أكثر مما يحتاج إليه.

قال : ومنها « القابض » : يَطوي بره ومعروفه عمن يريد ، ويُضيّق ويُقتّر أو يَحْرِم فيُفْقِر .

ولا ينبغي أن يُدْعى ربَّنا جل جلاله باسم : القابض ، حتى يقال معه: الباسط [(٢)].

وقال البيهقي : « القابض الباسط » هو الذي يوسِّع الرزق ويقتره ، يبسطه بجوده ورحمته ، ويقبضه بحكمته .

وقيل : القابض : الذي يَقبض الأرواح بالموت الذي كَتَبه على العباد.

والباسط : الذي بَسَطَ الأرواحَ في الأجساد [(٣)].

---

(١) « اشتقاق الأسماء » (ص ٩٩) .

(٢) « المنهاج » (١/ ٢٠٣) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه ، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٦٤ ـ ٦٥) ، والقرطبي في «الأسنى» (٢/ ورقة ٣٥٧ أ ـ ب).

(٣) « الاعتقاد » (ص ٥٧) .

وقال الغزالي : « القابض الباسط » هو الذي يَقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات ، ويَبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة .

ويَقبض الصَّدقات من الأغنياء ، ويبسط الأرزاق للضعفاء ، ويَبْسطُ الرِّزقَ على الأغنياء حتى لا يَبقى فاقَةٌ ، ويَقبضه عن الفقراء حتى لا يَبقى طَاقة .

ويقبض القلوب فيضيقها بما يكشف لها من قلةِ مبالاته وتعاليه وجلاله ، ويبسطها بما يتقرب إليها من بره ولطفه وجماله [1].

وقال ابن الأثير : في أسماء الله تعالى « القابض » : هو الذي يمسك الرزق وغيرَه من الأشياء عن العباد بلطفه وحكِمته ، ويقبض الأرواح عند الممات [2].

وقال : في أسماء الله تعالى « الباسط » : هو الذي يَبسط الرزق لعباده ، ويُوسِّعه عليهم بجوده ورحمته ، ويَبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة [3].

وقال قوَّام السنة الأصبهاني : ومن أسماء الله تعالى « القابض الباسط »: قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] .

ومعناه : يُوسِّع الرزقَ ويُقتِّره ، يَبسطه بجُوده ، ويقبضه بعدْله ، على النَّظَر لعبده ، قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧][4].

---

(١) « المقصد الأسنى » (ص ٥٢) .

(٢) «النهاية » (٤/٦) .

(٣) المصدر السابق (١/ ١٢٧) ، ونقلهما عنه ابن منظور في « اللسان » ولم يشر إليه .

(٤) « الحجة في بيان المحجة » (١/ ١٤٠) .

وقال السعدي : « القابض الباسط » : يقبض الأرزاق والأرواح ، ويَبْسط الأرزاق والقلوب ، وذلك تَبَعٌ لحكمته ورحمته [1].

* اقتران الاسمين :

الأدب في هذين الاسمين ، أن يُذْكرا معًا ، لأن تمام القُدرة بذكرهما معًا .

ألا ترى أنك إذا قلت : إلىِ فلانِ قبضُ أمري وبَسْطُه ، دَلاًّ بمجموعهما أنك تريد أن جميع أمرك إليه ؟

وتقول : ليس إليك من أمري بَسْطٌ ولا قبض ، ولا حَلٌّ ولا عقدٌ ، أراد ليس إليك منه شيء .

قاله الزجاج [2].

وقال الخطَّابي : قد يَحْسُنُ في مِثل هذين الاسمين أن يُقْرَن أحدُهما في الذِّكر بالآخر ، وأن يوصلَ به ليكون ذلك أنْبأ عن القُدْرة ، وأدلَّ على الحكمة ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥] .

وإذا ذكرتَ القابضَ مُفردًا عن الباسط ، كنتَ كأنك قد قَصَرْتَ بالصفةِ على المنع والحرمان .

وإذا أَوْصلتَ أَحدَهما بالآخر فقد جمعت بين الصفتين ، مُنْبِئًا عن وجه الحكمة فيهما .

ثم قال :

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (٥/٣٠٣) .

(٢) « تفسير أسماء الله الحسنى » (ص ٤٠) .

فالقابض الباسط : هو الذي يُوسع الرزق ويُقتِّره ، ويَبسطه بجوده ورحمته ، ويَقبضه بحكمته ، على النظر لعبده ، كقوله : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٢٧].

فإذا زاده لم يَزِدْه سَرَفًا وخرَقًا ، وإذا نَقَصه لم ينقُصه عَدَمًا ولا بُخلا .

وقيل : القابض : هو الذي يَقبض الأرواح بالموت الذي كتبه على العباد [١].

وقال ابن القيم[٢] :

هو قابضٌ هو باسِطٌ هو خَافضٌ هو رَافــعٌ بالعَــدْل والميـزانِ

قال الهراس في شرحه : هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا يجوز أن يُفردَ أحدهما عن قرينه ، ولا أنْ يُثنى على الله عز وجل بواحدٍ منها إلا مقرونًا بمقابلة ، فلا يجوز أن يُفرد القابض عن الباسط ، ولا الخافض عن الرافع ... إلخ .

قال : لأنَّ الكمال المطلق إنما يَحصل بمجموع الوصفين .

فهو سبحانه القابض الباسط ، يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات ، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة ، ويقبض الصدقات من الأغنياء ، ويَبسط الأرزاق للضعفاء ، ويبسط الرزق لمن يشاء حتى لا تبقى فَاقة ، ويَقبضه عمن يشاء حتى لا تبقى طاقة .

ويقبض القلوب فَيُضيِّقها حتى تصير حَرجًا كأنما تصَّعَّدَ في السماء ، ويبسطها بما يُفيض عليها من معاني بِره ولُطفه وجماله ، قال تعالى :

---

(١) « شأن الدعاء » (ص ٥٨) .

(٢) «النونية » (٢/ ٢٣٦) بشرح أحمد بن عيسى .

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥][1].

*** من آثار الإيمان بهذين الاسمين :**

١ ـ إن الله تعالى هو القابض الباسط ، وهما من الطَّي والنَّشر ، والتوسعة والتضييق ، والأخذ والعطاء ، وهو يتناول أموراً كثيرة ، كما مرَّ معنا في أقوال العلماء .

قال ابن الحصار : وهذان الاسمان يختصان بمصالح الدنيا والآخرة، قال الله العظيم : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٢٧] .

وذلك يتضمَّن قوام الخَلْق باللُّطف والخِبْرة، وحُسن التَّدبير والتقدير، والعلم بمصالح العباد في الجملة والتفاصيل ، وبحسب ذلك يُرسل الرياح ، ويُسخَّر السحاب ، فيُمطر بلداً ، ويمنع غيره ، ويُقل ويُكثر [2].

وكذلك يُصرِّف جُملة العوالم لجملة العالمين .

وقال بعض العلماء : إنَّ أعظمَ البسطِ : بَسْطُ الرحمة على القلوب حتى تَستضيءَ ، وتخرجَ من وَضَرِ الذنوب ، وهذا هو الشرح المذكور في قوله عز وجل : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقوله : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وضده المذكور في قوله : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

(١) « النونية » بشرح الهراس رحمه الله (٢/ ١٠٤) .

(٢) كما في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [الروم: ٤٨].

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

فأما قوله عز وجل : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وقوله : ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].

إلى آخر المعنى ، فليس بفتحٍ عليهم ولا بسط لهم ، وإنما حقيقته : مَكْرٌ بهم ، واستدراجٌ لهم ، لحرمانٍ شاءه بهم .

كذلك ليس المذكور في قوله عز وجل : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [التوبة: ١٦].

وقوله : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣].

وما ذَكرَ من خطيئة آدم عليه السلام ، وداود ، وبلاء أيوب عليهما السلام ، وشبه ذلك ليس بقبضٍ في الحقيقة ، لكن ذلك محنة عاجلة موصلة إلى جُوده[١] المتصل لهم في الآجل .

قال القرطبي معقبًا : قلت : وهذا من هذا العالِم إشارة إلى أنَّ ما أصابَ المؤمنَ من مِحن الدنيا نعمةٌ ، وما أصابَ الكافر من نِعَم الدنيا فتنةٌ[٢].

٢ ـ وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. يعني تعالى ذكره بذلك : أنه الذي بيده

---

(١) في الأصل : وجوده ! ولا معنى لها .

(٢) « الكتاب الأسنى » (٢/ورقة ٣٥٧ ب ـ ٣٥٨ أ) .

قَبْضُ أرزاق العباد وبسطها دون غيره ممن ادَّعى أهل الشرك به أنهم آلهة، واتخذوه ربًّا دونه يعبدونه ، وذلك نظير الخبر الذي روى عن رسول الله ﷺ ... عن أنس قال : غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ قال : فقالوا: يا رسول الله ، غَلاَ السعر فأَسْعِر لنا ، فقال رسول الله ﷺ : «إنَّ **اللهالباسط القَابضُ الرازق ، وإني لأرجو أن ألقى الله ليس أحدٌ يَطْلُبني بمظلمةٍ في نفسٍ ومال** »[1].

قال أبو جعفر : يعني بذلك ﷺ أن الغَلاَءَ والرُّخصَ والسَّعةَ والضيق بيد الله دون غيره ، فكذلك قوله تعالى ذكره : ﴿**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ**﴾ يعني بقوله : ﴿ **يَقْبِضُ**﴾ يُقتِّر بقبضهِ الرزق عمن يشاء من خلقه ، ويعني بقوله: ﴿ **وَيَبْصُطُ**﴾ يوسع ببسطه الرزق على مَن يشاء منهم ، وإنما أراد تعالى ذكره بِقيله ذلك : حثَّ عباده المؤمنين الذين قد بَسَط عليهم من فضله فوسَّع عليهم من رزقه ، على تَقْوية ذوي الإقتار منهم بماله ، ومعونته بالإنفاق عليه ، وحَمُولته على النهوض لقتال عدوه من المشركين - في سبيله - فقال تعالى ذكره : من يُقَدِّم لنفسه ذُخرًا عندي بإعطائه ضعفاء المؤمنين ، وأهل الحاجة منهم ما يستعين به على القتال في سبيلي فأضاعف له من ثوابي أضعافًا كثيرة مما أعطاه وقَوَّاه به ، فإني أنا المُوسِّع الذي قبضتُ الرزقَ عمن نَدَبْتُك إلى معونتِه وإعطائه ، لأبتليه بالصَّبر على ما ابْتَليته به ، والذي بَسَطتُ عليك لأمتحنك بعملك فيما بَسطتُ عليك فأنظر كيف طاعتك إياي فيه ؟ فأُجازي كلَّ واحدٍ منكما على قَدْر طاعتكما لي فيما ابْتَليتكما فيه وامتحنتكما فيه ، من غِنًى وفاقةٍ ، وسَعَةٍ وضيق ، عند رجوعكما إليَّ في آخرتكما

(١) تقدم تخريجه قريبا .

ومَصيركما إليَّ في مَعَادكما [1].

٣ ـ ثم حذَّر الله تعالى من استعمال ما بَسَطَ من الرزق في معاصيه فقال : ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يعني تعالى ذكره بذلك : وإلى الله معادكم أيها الناس ، فاتقوا الله في أنفسكم أن تُضيِّعوا فرائضه ، وتتعدوا حدوده ، وأن يَعمل مَن بسط عليه منكم في رزقه بغير ما أَذِن له بالعمل فيه ربُّه ، وأن يحمل بالمقتر منكم فيقبض عنه رزقه اقتاره على معصيته ، والتقدم على ما نَهَاه ، فيستوجب بذلك منه ـ بمصيره إلى خالقه ـ ما لا قِبَل له به من أليم عقابه .

وكان قتادة يتأول قوله : ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وإلى التراب ترجعون [2].

٤ ـ فينبغي لمن امتن الله عليه ببسطةٍ في المال أو العلم أو الجسم أو الجاه ، أن يتفضَّلَ على عباد الله تعالى كما تفضَّل الله عليه وأحسن ، فإن هذا من شكر هذه النعم .

ويجب على من ضيق عليه في شيء من ذلك أن لا يلجأ إلا إلى القابض الباسط الذي يملك ما يتمنى ويريد ، وأن يعلم أن ذلك بعدله سبحانه وهو لا يظلم أحدًا .

قال القرطبي : فيجب على كل مكلَّفٍ أن يعتقد أن لا قابضَ ولا باسطَ إلا الله سبحانه ، هو الذي يَقبض الجميع ويبسطه ، وهو الذي يَبسطُ القلوبَ والألسنةَ والأيدي وسائر الأسباب .

فإنْ كنتَ مبسوطَ القلب بالمعارف، والحقيقة والعلوم الدينية، فابْسطْ

(١) « جامع البيان » (٢/ ٣٧٢) .

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٧٣) . وما ذكره عن قتادة رواه عنه بعد ذلك بسند حسن .

بساطَك، وابسطْ وجْهك، واجلسْ للناس حتى يَقتبسوا من ذلك النِّبْراس.

وإنْ كنت ذا بسطةٍ في الجسم ، فابْسطه في العبادة التي تُفْضي بك إلى السعادة ، وفي الصَّولةِ على الأعداء ، بما خُوِّلتَ من المنَّة والشِّدة .

وإنْ كنت ذا بَسطٍ في المال ، فابسطْ يدكَ بالعَطَاء ، وأزِلْ ما على مالك من الغِطَاء ، ولاَ تُوكي[1] فيوكي الله عليك ، ولا تُحْصي فيحصي اللهُ عليك.

وإنْ كنت لم تَنَلْ حظًا من هذه البَسَطاتِ فابسط قلبكَ لأحكام ربِّك ، ولسانَك لذكره وشكره ، ويدك لبذل الواجبات عليك ، ووجهك للَخْلق، كما قال ﷺ في بَذل المعروف : « **فإن لم تَجِدْ فالْقَ أخاكَ بوجه طَلْقٍ** » ويروى « **طليق** » .

ولقد أحسنَ القائل :

بُنَيَّ إنَّ البِـرَّ شـيءٌ هَيِّـن وَجـهٌ طليـقٌ ولسـانٌ ليِّـنٌ[2] .

٥ ـ ما ورد في النصوص السابقة من إثبات القبض والبسط لله تعالى، هو من الأدلة الكثيرة التي تؤيد ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة « اليد » لله جل شأنه على ما يليق بذاته سبحانه من غير تمثيل، إذْ هو ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١].

وذلك أن القَبضَ والبسط قد ورد إضافتهما إلى أشياء محسوسة تُقبض باليد الحقيقية ، ولا يَصح حملها على القبض والبسط المعنوى ، كقوله جلَّ ذكره : ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الزمر: ٦٧].

---

(١) من الوكاء وهو رباط القربة ، أي : لا تمنع العطاء فيمنع الله عنك عطاءه .

(٢) « الكتاب الأسنى » (٢/ورقة ٣٥٨ ب) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**يَطوي اللهُ عز وجل السماواتِ يوم القيامة ثم يَأخذُهنَّ بيده اليمنى ثم يقول: أنا المَلكُ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضينَ بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟** »[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال : جاء حَبرٌ إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ! أو يا أبا القاسم ! إن الله تعالى يُمْسِكُ السماواتِ يومَ القيامة على إصْبَع ، والأرضين على إصْبع ، والجبال والشجر على إصْبع ، والماءَ والثَّرى على إصبع ، وسائر الخَلْق على إصْبع ، ثم يهزُّهن فيقول : أنا الملك أنا الملك ، فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال الحَبر ، تَصديقًا له ، ثم قرأ : ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر: ٦٧][2].

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ الله خَلَقَ آدمَ من قَبْضة قَبَضها من جميعِ الأرض ، فجاء بنو آدم منهم الأحمر والأسود والأبيض وبينَ ذلك ، والسَّهل والحَزْن ، والخَبيث والطَّيب** »[3].

---

(١) سبق تخريجه في الجزء الأول من الكتاب .

(٢) سبق تخريجه في الموضع السابق .

(٣) حديث صحيح ، أخرجه ابن سعد (١/ ٢٦) ، وأحمد (٤/ ٤٠٠ ، ٤٠٦) ، وأبو داود (٤٦٩٣) ، والترمذي (٥/ ٢٠٤) ، وابن جرير في تفسيره (١/ ١٧٠) ، وابن خزيمة في «التوحيد » (ص ٦٤) ، وابن حبان (٨/ ١١) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٤) (٨/ ١٣٥)، والحاكم (٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) ، والبيهقي في « الأسماء » (ص ٣٢٧ ، ٣٨٥) وفي « السنن » (٩/ ٣) من طرق عن عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير المازني البصري عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا به.

قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . وهو كما قالوا .

وعن أبي نضرة قال : إن رجلا من أصحـــاب النبي ﷺ يقال له : أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي ، فقالوا له : ما يبكيك ؟ ألم يقل لك رسول ﷺ : « خُذْ من شاربك ، ثم أقرره حتى تلقاني» قال : بلى ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله قَبَضَ قبضةً بيمينه وقال : هذه لهذه ولا أبالي ، وقَبَضَ قَبْضةً أخرى بيده الأخرى جلَّ وعلا فقال: هذه لهذه ولا أبالي ، فلا أدري في أيِّ القبضتين أنا ؟** » [1].

وغيرها من الأحاديث .

وقد بَيَّن الأمام أبو بكر بن خزيمة في كتاب « التوحيد » أن ذِكْر القبضة في الأحاديث دليل على إثبات صفة اليد لربنا سبحانه .

فقال : باب ذكر صفة آدم عليه السلام .

والبيان الشافي أنه خلقه بيده لا بنعمته ، على ما زعمت الجهمية المعطِّلة ، إذْ قالت : إن الله يقبض بنعمته ! من جميع الأرض قبضةً فيخلق منها بشراً .

وهذه السُّنَّة السادسة في إثبات اليد للخالق الباري جل وعلا .

ثم ذكر حديث أبي موسى الأشعري المتقدم [2].

وقال الشيخ الهراس معلقًا على تأويل الجهمية القبض بالنِّعمة : وهذا تأويل باطل ! فإن القبض إنما يكون باليد الحقيقية لا بالنعمة ! فإن قالوا:

---

(١) حديث صحيح ، أخرجه أحمد (٤/١٧٦ ، ١٧٦ ـ ١٧٧) (٥/٦٨) عن حماد بن سلمة حدثنا الجريري عن أبي نضرة به .

قال الهيثمي في « المجمع » (٧/١٨٦) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وهو كما قال .

وله طرق انظرها في « إبطال التأويلات » (١/ ١٧٥) .

(٢) « التوحيد » (ص ٦٣ ـ ٦٤) .

إن الباء هنا للسببية ، أي بسبب إرادته الإنعام .

قلنا لهم : وبماذا قَبَضَ ؟ فإنَّ القبض محتاجٌ إلى آلة فلا مناص لهم لو أَنصفوا من أنفسهم ، إلا أنْ يعترفوا بثبوت ما صَرَّح به الكتابِ والسنة[1].

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه « الرد على بشر المريسي العنيد » : وأما دعواك أيها المريسي في قول الله : ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة: ٦٤] فزعمتَ أن تفسيرها عندك : رزقاه رزقٌ موسع ورزق مقتور ، ورزقٌ حلال ورزق حرام .

فقوله يداه عندك رزقاه ! فقد خرجت بهذا التأويل من حدِّ العربية كلها ، ومن حدِّ ما يفقهه الفقهاء ، ومن جميع لغات العرب والعجم ، فممن تلقيته ؟ وعمن رَوَيته من أهل العلم بالعربية والفارسية ؟

وإنك جئت بمحال لا يَعْقله أعجميٌّ ولا عربي ، ولا نعلم أحدًا من أهلِ العلم والمعرفة سبقك إلى هذا التفسير ، فإنْ كنت صادقًا في تفسيرك هذا فأثره عن صاحب علمٍ أوصاحب عربية ، وإلا فانك مع كفرك بها من المدلسين .

وإن كان تفسيرهما عندك ما ذهبت إليه فإنه كذب محالٌ ، فضلاً عن أن يكون كفرًا ، لأنك ادعيت أن لله رزقًا موسعًا ، ورزقًا مُقتَّرا ، ثم قلت: إنَّ رزقيه جميعًا مبسوطان ، فكيف يكونا مبسوطين ، والمقتور أبدًا في كلام العرب غير مبسوط ؟ وكيف قال الله : إن كلتيهما مبسوطتان ، وأنت تزعم أن إحداهما مقتورة ؟

---

(١) المصدر السابق .

فهذا أولُ كذبك وجهالتك بالتفسير ، وقد كفانا الله ورسوله مَؤُنة تفسيرك هذا بالناطق من كتابه ، وبما أخبر الله على لسان رسوله .

أما الناطق من كتابه فقوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] . وقوله : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

وقوله : ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقوله : ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩].

وقوله : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].

وقوله : ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

فهل يجوز لك أنْ تتأوَّل في جميع ما ذكرنا من كتابه أنه رزقاه ، فتقول : برزقه الخير ! وبرزقه الفضل ! وبرزقه المُلك ! ولا تقدموا بين رزق الله ورسوله !!

وأما المأثور من قول رسول الله ﷺ فقوله : « **إنَّ المُقْسطينَ على منابرَ من نورٍ عن يمين الرحمن ، وكِلتا يديه يمين** »[1].

فتفسير قول النبي ﷺ في تأويلك أيها المريسي : أنهم على منابر من نور عن رزقي الرحمن ، وكلتا رزقيه يمين !!

وعن ابن عمر قال : سعمت رسول الله ﷺ يقول : « **يأخُذُ الجبار سمواته وأرضه بيديه ـ وقبض كفيه أو قال يديه ـ فجعل يَقبضها ويَبسطها ، ثم يقول : أنَا الملك ، أنَا الجبار ، أين المتكبرون** » ويميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن شماله حتى نظرتُ إلى المنبر أسفل شيءٍ منه حتى إني لأقول:

---

(١) رواه مسلم (١٤٥٨/٣) ، وأحمد (٢/ ١٦٠) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما .

أسَاقطٌ هو برسول الله ﷺ ؟ » [1].

فيجوز أيها المريسي أن تتأول هذا الحديث أنه يأخذ السموات والأرض برزقيه ! مَوْسُوعه ومقتوره ، وحلاله وحرامه ! وما أراك إلا وستعلم أنك تتكلم بالمُحال ، لتُغَالط بها الجهال ، وتروج عليهم الضلال. وقول النبي ﷺ : « **والذي نفسي بيده** » و « **نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ...** » الحديث [2].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمنه ، ثم قال : أنا الملك أين الملوك ؟** » [3].

أفيجوز أن يطوي الله السموات بأحد رزقيه ؟ فأيهما الموسع عندك من المقتور ؟ وأيهما الحلال من الحرام ؟ لأن النبي ﷺ قال : « **كلتا يديه يمين** » .

وادعيت أنت أن أحدهما موسع والآخر مقتور .

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « **إنَّ اللهَ يَبْسطُ يده بالليل ليتوب مُسِيءُ النَّهار ، يَبسطُ يَدَه بالنهار ليتوب مُسيءُ الليل ، حتى تطلعَ الشمس من مغربها** » [4].

أفَيجوز أن يقال: يبسط حلاله بالليل وحرامه بالنهار ليتوب المسيئان؟

فلو أنك إذْ أردت معاندة الله ورسوله ومخالفة أهل الإسلام احتججت بكلامٍ أستر عورة ، وأقل استحالة من هذا ، لكان أنجع لك في قلوب

---

(١) سبق تخريجه في الجزء الأول .

(٢) سبق تخريجه في الجزء الأول .

(٣) سبق تخريجه في الجزء الأول .

(٤) سبق تخريجه قريبًا .

الجهال ، من أنْ تأتي بشيء لايشك عاقلٌ ولا جاهل في بُطُوله واستحالته [1].

٦ ـ قد ثبت عن النبي ﷺ أنه دعا ربَّه وأثنى عليه ، بذكر قبضه وبسطه وتفرده في ذلك سبحانه .

فعن عبيد بن رفاعة الزرقي عن أبيه قال لما كان يوم أحد وانْكَفأ المشركون قال رسول الله ﷺ : « **استَوُوا حتى أُثني على ربي** » فصاروا خلفه صفوفًا فقال : « **اللهم لكَ الحمدُ كلُّه ، اللهم لا قابضَ لما بَسَطتَ ، ولا باسطَ لما قبضتَ ، ولا هاديَ لما أَضْلَلتَ ، ولا مضلَّ لمن هَدَيت ، ولا مُعطي لما منعتَ ، ولا مانعَ لما أَعطيتَ ، ولا مُقرِّبَ لما باعدت ولا مُباعدَ لما قرَّبت ، اللهم ابْسطْ علينا من بركاتك ورحمتك وفضلْك ورزقك ، اللهم إني أسألكَ النَّعيمَ المُقيم الذي لا يَحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النَّعيم يوم القيامة[2] والأمنَ يومَ الخوف ، اللهم إني عائذٌ بك من شرِّ ما أَعطيتنا ، وشرِّ ما مَنعتَ ، اللهم حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيِّنه في قلوبنا ، وكرِّه إلينا الكفرَ والفُسوق والعصيان ، واجْعلنا من الراشدين ، اللهم تَوفَّنا مسلمين ، وأَحْينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خَزَايا ولا مَفْتُونين ، اللهم قَاتل الكفرةَ الذين يُكَذِّبون رسلك ، ويَصدون عن سبيلك ، واجعلْ عليهم رِجْزَكَ وعَذَابك ، اللهم قاتلْ الكفرةَ الذين أُوتوا الكتاب ، إله الحقِّ** » [3].

---

(١) رد الدارمي على المريسي (ص ٣٠ ـ ٣٣) باختصار .

(٢) كذا عند البزار ، وعند أحمد : العلية ! وفي المجمع : الغلبة !

(٣) إسناده حسن ، رواه أحمد (٣/ ٤٢٤) ، والبزار (١٨٠٠ ـ زوائد) عن مروان بن معاوية حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن عبيد بن رفاعة الزرقي عن أبيه مرفوعًا به .

قال البزار : لا نعلمه مرفوعًا إلا من حديث رفاعة ولا رواه عن عبيد إلا عبد الواحد (وقع في المطبوعة عبد الرحمن وهو خطـأ وهو مشهور لا بأس به روى عنه أهل العلم . =

. . . .

= قلت : وهو عبد الواحد بن أيمن أبو القاسم المكي وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وهو من رجال الصحيحين .

وقال الهيثمي في المجمع : رواه أحمد والبزار واقتصر على عبيد بن رفاعة عن أبيه وهو الصحيح ، وقال اللهم قاتل كفرة أهل الكتاب ، ورجال أحمد رجال الصحيح .اهـ .

وعبيد بن رفاعة تابعي ثقة وهو من رجال الأربعة ، ومروان قال مرة : عبيد الله بن عبد الله الزرقي ، عند أحمد ، والصواب الأول والله أعلم .

السَّــيِّد

جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(١٦)

*** المعنى اللغوي :**

سَادَ قومه يَسودُهم سيادةً وسُودَدًا وسَيْدودةً فهو سَيِّدُهم ، وهم سادةٌ، تقديره : فَعَلَةٌ بالتحريك .

لأن تقدير سيد : فَعِيلٌ .

وقال أهل البصرة : تقدير سيِّد فَيْعِلٌ ، وجُمع على فَعَلة .

والسُّؤْدُد : الشَّرَف .

قال ابن شُمَيل : السيد الذى فاق غيرَه بالعقل والمال والدَّفع والنَّفع، والمُعْطي ماله في حقوقه ، المُعين بنفسه ، فذلك السيد .

وقال عكرمة : السَّيِّد الذي لا يَغلبه غَضبُه .

وقال أبو خَيْرَة : سُمِّي سيدًا لأنه يَســود سوادَ الناس ، أي : عُظْمِهم.

وقال الأصمعي : العرب تقول : السيد كلُّ مقهورٍ مغمورٍ بحلمه .

وقيل : السيد الكريم .

وقال الفراء : السَّيد المَلك ، والسَّيد الرئيس ، والسيد السَّخي ، وسيّد العبد مولاه والأنثى من كل ذلك بالهاء ، وسيد المرأة زوجها ،

وفي التنزيل ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ [يوسف: ٢٥].

وسيدُ كل شيء أَشْرَفُه وأرفعه (١).

وقال الراغب : السَّيد : المتولِّي للسَّواد ، أي : الجماعةِ الكثيرة ، ويُنْسب إلى ذلك فيقال : سيِّد القوم ، ولا يقال : سيد الثوب وسيد الفَرَس ، ويقال : ساد القومَ يَسودُهم .

ولما كان من شَرطِ المتولِّي للجماعةِ أن يكون مهذَّبَ النَّفس ، قيل لكلٍّ من كان فاضلاً في نفسه : سَيِّدٌ ، وعلى ذلك قوله : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [آل عمران: ٣٩] وقوله : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ﴾ [يوسف: ٢٥] فسمَّى الزوج سيّدًا لسياسة زوجته ، وقوله : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا ﴾ [الأحزاب: ٦٧] أي : وُلاتَنا وسَائسِينا (٢).

*** وروده في الحديث الشريف :**

جاء في حديث مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير قال : قال أبي : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنتَ سيِّدنا ، فقال: « **السَّيدُ اللهُ تباركَ وتعالى** » قلنا : وأَفْضَلنا فضلاً وأَعْظمنا طَوْلاً ، فقال : « **قُولُوا بقولكم ، أو بعضِ قولكم ، ولا يَسْتَجرِيَنّكم الشَّيطان** » (٣).

---

(١) « الصحاح » (٢/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) ، و« اللسان » (٣/ ٢١٤٤ ـ ٢١٤٥) .

(٢) « الراغب » (ص ٢٤٧) .

(٣) حديث صحيح ، أخرجه أحمد (٤/ ٢٤ ـ ٢٥) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢١١) ، وأبو داود (٥/ ٤٨٠٦) واللفظ له ، ومن طريقه البيهقي في « الأسماء » (ص ٢٢) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧) من طرق عن مطرف به .
قال الحافظ في « الفتح » (٥/ ١٧٩) : ورجاله ثقات وقد صححه غير واحد .

* **المعنى في حق الله تعالى :**

قال الخطابي : قوله « السَّيدُ الله » ويريد : أن السُّؤْدُد حقيقةً لله عز وجل ، وأن الخلقَ كلَّهم عبيدٌ له [1].

وقال الحليمي : ومنها « السيد » وهو اسمٌ لم يأت به الكتاب ، ولكنه مأثورٌ عن النبي ﷺ ، فإنه روي عنه أنه قال لوفد بني عامر : « **لا تقولوا السيد فإن السيد الله** » .

ومعناه : المحتاج إليه بالإطلاق .

فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي إليه يرجعون ، وبأمره يعملون، وعن رأيه يَصْدرون ، ومن قوله يَسْتَهدون .

فإذا كانت الملائكةُ والإنس والجن خَلْقًا للباري جل ثناؤه ، ولم يكن بهم غُنْية عنه في بدءِ أمرهم وهو الوجود ، إذْ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاءِ بعد الإيجاد ، ولا في العَوَارض العارضة أثناء البقاء ، كان حقًّا له جل ثناؤه أن يكون سَيدًا ، وكان حقًّا عليهم أن يَدْعوه بهذا الاسم [2].

وقال الأزهري : وأما صفةُ الله جل ذكره بالسَّيد فمعناه : أنه مالك الخَلْق ، والخَلْق كلُّهم عبيده [3].

وقال ابن الأثير في قوله «السيد الله»: أي هو الذي تَحِقُّ له السيادةُ[4].

---

(١) « معالم السنن » بهامش مختصر السنن للمنذري (٧/ ١٧٦) .

(٢) « المنهاج » (١/ ١٩٢) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات الابتداع والاختراع له ، ونقله البيهقي في « الأسماء » (ص ٢٣) .

(٣) « اللسان » (٣/ ٢١٤٤) .

(٤) « النهاية » (٢/ ٤١٧) .

وقال الأصبهاني : ومن أسمائه تعالى : « السيد » وهذا اسم لم يأتِ به الكتاب ، وإنما ورد في الخبر عن النبي ﷺ . ثم ذكر الخبر ، وذكر نحواً من كلام الغزالي المتقدم [1].

وقال ابن القيم [2]:

وهو الإلهُ السَّيـدُ الصَّمـد الذي صَمَدتْ إليه الخلـق بالإذْعَان
الكَامِلُ الأوصـاف مِن كلِّ الوُجُو هِ كمَالَهُ مـا فيه مِـن نُقْصان

وقال : السيد إذا أُطلق عليه تعالى فهو بمعنى : المَالِك والمولى والربّ ، لا بالمعنى الذي يُطلق على المخلوق ، والله سبحانه وتعالى أعلم [3].

*** من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ الله تبارك وتعالى هو السَّيد الذي قد كَمُل في سُؤْدُدِه ، والشَّريف الذي قد كمُل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عَظَمته ، والحليم الذي قد كمل في حِلْمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبَّار الذي قد كمل في جَبروته ، والعَالم الذي قد كمل في عِلمه ، والحكيم الذي قد كمل في حِكْمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشَّرف والسُّؤْدُد ، وهذه صفاتٌ لا تنبغي إلا له وحده لا شريك له [4].

٢ ـ يجوز إطلاق هذا الاسم على المخلـوق ، فقد قال تعالى عن نبيه يحيى بن زكريا عليهمـا السـلام : ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ

(١) « الحجة في بيان المحجة » (١/ ١٥٥ ـ ١٥٦) .

(٢) « النونية » (٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) .

(٣) « الفوائد » (٣/ ٢١٣) .

(٤) روي عن ابن عباس نحوه ، انظر : آثار الإيمان بالصمد في الجزء الثاني من الكتاب .

الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩] .

قال ابن الأنباري : إن قال قائل : كيف سمَّى الله عز وجل يحيى سيدًا وحصورًا ، والسَّيد هو الله ، إذْ كان مالك الخلق أجمعين ، ولا مالك لهم سواه ؟

قيل له : لم يُرِدْ بالسَّيد ههنا المالك ، وإنما أراد الرئيسَ والإمامَ في الخير ، كما تقول العرب : فلانٌ سيدنا ، أي : رئيسنا والذي نُعظِّمه[1] .

ونحوه ما جاء في حديث مطرف السابق إذْ قالوا للنبي ﷺ : أنتَ سيدنا ، فقال : « **السيد الله تبارك وتعالى** » قلنا : وأَفْضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولا ، فقال : « **قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان** » .

قال أبو منصور الأزهري : كره النبي ﷺ أن يُمدح في وجهه ، وأحبَّ التواضع لله تعالى ، وجَعلَ السيادة للذي ساد الخلق أجمعين وليس هذا بمخالف لقوله لسعد بن معاذ حين قال لقومه الأنصار: « **قوموا إلى سيدكم** » أراد أنه أفضلكم رجلاً وأكرمكم .

وأما صفة الله جلَّ ذكره بالسيد فمعناه أنه مالكُ الخلقِ ، والخَلقُ كلُّهم عبيده .

وكذلك قوله : « **أنا سيِّدُ وَلَدِ آدم ولا فخرَ** » أراد أنه أولُ شفيعٍ وأولُ من يُفتح له بابُ الجنة ، قال ذلك إخبارًا عما أكرمه اللهُ به من الفَضل والسُّؤْدَدِ ، وتحدُّثًا بنعمة الله عنده ، وإعلامًا منه ليكونَ إيمانُهم به على حَسَبه وموجبه .

---

(١) « اللسان » (٣/ ٢١٤٥) .

ولهذا أتبَعَه بقوله : « **ولا فخر** » أي : إنَّ هذه الفضيلة التي نلتُها كرامةٌ من الله ، لم أنَلها من قِبَل نفسي ، ولا بَلغتُها بقوتي فليس لي أن أفْتخَر بها .

وقيل في معنى قوله لهم لما قالوا له : أنت سيدنا : « **قولوا بقولكم** » أي: ادعوني نبيًّا ورسولاً كما سمَّاني الله ، ولا تُسموني سيِّدًا كما تُسمون رُؤساءَكم، فإني لست كأحدِهم ممن يَسودُكم في أسباب الدنيا [1].

وقال الخطابي : وإنما منعهم ـ فيما نرى ـ أن يَدْعوه سيدًا ، مع قوله: « **أنا سيد ولد آدم** » وقوله لبني قريظة[2] : « **قوموا إلى سيدكم** » يريد سعد بن معاذ ، من أجل أنهم قومٌ حديثٌ عهدهم بالإسلام ، وكانوا يحسبون أن السِّيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا ، وكان لهم رؤساء يعظمونهم ، وينقادون لأمرهم ، ويسمونهم السادات ، فعلمهم الثناء عليه وأرشدهم إلى الأدب في ذلك فقال : « **قولوا بقولكم** » يريد : قولوا بقول أهل دينكم وملتكم ، وادعوني نبيا ورسولاً ، كما سماني الله عز وجل في كتابه فقال: ﴿ **يا أيها النبي** ﴾ ﴿ **يا أيها الرسول** ﴾ ولا تُسموني سيداً كما تُسمون رؤساءَكم وعظماءكم ، ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم ، إذْ كانوا يَسُودنكم بأسباب الدنيا ، وأنا أسُودكم بالنبوة والرسالة فسموني نبيا ورسولاً .

وقوله : « **بعض قولكم** » فيه حذفٌ واختصار ومعناه : دعوا بعض قولكم واتركوه ، يديد بذلك الاقتصار في المقال ، قال الشاعر :

---

(١) « المصدر السابق » (٣/ ٢١٤٤).

(٢) كذا جاء في المطبوعة وأشار المحققان إلى أنه هكذا وجد في نسختين خطيتين وصوابه : لبني الخزرج قبيلة سعد .

فبعــضَ القــول عاذِلتي فإني سَيكْفينــي التَّجــاربُ وانْتِســابي

وقوله : « **لا يستجرينكم الشيطان** » معناه : لا يتخذنَّكم جَرِيًّا والجَرِيُّ: الوكيل ، ويقال : الأجير أيضًا [1].

وقال الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى :

اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر ، فمنعه قومٌ ونُقل عن مالك ، واحتجوا بأنه ﷺ لما قيل له: يا سيدنا قال: «**إنما السيد الله**».

وجوزه قومٌ واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار : « **قوموا إلى سيدكم** » وهذا أصح من الحديث الأول .

قال هؤلاء : السيد أحدُ ما يُضاف إليه ، فلا يقال لتميمي : إنه سيدُ كندة ولا يقال لمالك أنه سيد البشر ، قال : وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم !

وفي هذا نظر ، فإنَّ السيد إذا أُطلق عليه تعالى فهو بمعنى: المالك والمولى والرب لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق ، والله سبحانه وتعالى أعلم [2].

ومما يؤيد جواز إطلاقه على المخلوق ، قوله ﷺ : « **إذا نَصَحَ العبدُ سيِّده وأحسن عبادة ربِّه ، كان له أجره مرتين** » [3].

---

(١) « معالم السنن » بهامش مختصر السنن (٧/ ١٧٦ ـ ١٧٧) .

تنبيه : لم يثبت لفظ السيادة للنبي ﷺ في التشهد ولا في الشهادة له بالرسالة في شيء من الأحاديث ، كما استقرأ ذلك جماعة من المحققين ومنهم الحافظ ابن حجر والقاسمي .

انظر : « معجم المناهي » للشيخ بكر أبو زيد (ص ١٨٩) .

(٢) « الفوائد » (٣/ ٢١٣) .

(٣) رواه البخاري في « العتق » (٥/ ١٧٧) ، ومسلم في « الإيمان » (٣/ ١٢٨٤) من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وقوله : « **لا يَقلْ أحدُكم : أطعم ربَّك ، وَضِّئ ربك ، وليَقُل : سيدي مولاي ، ولا يَقُل أحدُكم : عبدي ، أمتي ، وليَقُل : فَتَاي وفتاتي وغُلامي** »[1].

وقول عمر رضي الله عنه : « أبو بكر سَيِّدُنا ، وأَعتقَ سيِّدَنا ، يعني بلالاً »[2].

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر حديث « **السيد الله** » : ويمكن الجمع بأن يُحمل النهي عن ذلك على إطلاقه على غير المالك ، والإذن بإطلاقه على المالك .

وقد كان بعض أكابر العلماء يأخذ بهذا ويكره أن يخاطب أحدًا بلفظه أو كتابته بالسيد ، ويتأكَّد هذا إذا كان المخاطب غير تقي ، فعند أبي داود والمصنف في « الأدب » من حديث بريدة مرفوعًا : « **لا تقُولوا للمنافقِ سيِّدًا** » الحديث ونحوه عند الحاكم[3].

* * *

---

(١) رواه البخاري (١٧٧/٥) ، ومسلم في « الألفاظ من الأدب » (١٧٦٥/٤) من حديث همام ابن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « فضائل الصحابة » (٩٩/٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٣) « الفتح » (١٧٩/٥) .

وحديث « لا تقولوا للمنافق ...» في سنن أبي داود (٤٩٧٧) ، والبخاري في « الأدب » (٧٦٠) وهو صحيح .

المُحْسِن
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(١٧)

*** المعنى اللغوي :**

الحُسْنُ : نقيض القُبح ، والجمع مَحَاسِن على غير قياس ، كأنه جمع مَحْسَن .

ويقال : رجل حَسَنٌ ، وامرأة حَسَنَةٌ وحَسْناء وجمع الحَسَنَ : حِسَان.

وحسَّنتُ الشيء تَحْسينًا : زيَّنْتُه وأَحْسنتُ إليه وبه .

وروى الأزهري عن أبي الهيثم أنه قال في قوله تعالى في قصة يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي : قد أحسنَ إليَّ .

وقوله تعالى : ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٦] قيل : أراد الجنة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

فالحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله تعالى [١].

والمحاسن في الأعمال ضد المساوئ.

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦] الذين يحسنون التأويل .

---

(١) وهو تفسير الرسول ﷺ للآية كما في حديث صهيب رضي الله عنه عند مسلم .

وقوله عز وجل : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال ثعلب : هو الذي يتبع الرسول ﷺ .

والمَحاسِن : المواضعُ الحسنة من البدن ، يقال : فلانة كثيرةُ المحاسن .

ووجهه مُحَسَّنٌ : حَسَنٌ ، حَسَّنَه الله تعالى [1].

وقال الراغب : والإحسان يقال على وجهين :

أحدهما : الإنعام على الغير ، يُقال أحسَنَ إلى فلان .

والثاني : إحْسَانٌ في فعله ، وذلك إذا عَلِمَ عِلْمًا حَسَنًا ، أو عَمِل عملاً حسنا .

وعلى هذا قول أمير المؤمنين رضي الله عنه : الناسُ أبناء ما يحسنون، أي : مَنْسوبون إلى ما يَعْلمون ، وما يعملونه من الأفعال الحسنة .

قال : وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] .

فالإحسان فوق العَدْل ، وذاك أن العَدْل هو أنْ يُعطِيَ ما عليه ويأخذَ ما له ، والإحسانُ أن يُعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقلَّ مما له .

فالإحسان زائدٌ على العدْل ، فتحري العدل واجبٌ ، وتحري الإحسان نَدْبٌ وتطوُّعٌ ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقوله : ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ولذلك عظَّم الله تعالى ثوابَ المحسنين فقال تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

---

(١) « الصحاح » (٥/٢٠٩٩) ، و« اللسان » (٢/٨٧٧ ـ ٨٧٩) .

الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩][(١)].

وقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿ **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ** ﴾ [التوبة: ٩١].

﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ** ﴾ [الزمر: ١٠][(٢)].

*** وروده في الحديث الشريف:**

١ـ ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا حكَمتُم فاعْدلوا، وإذا قُلتم فأَحْسِنوا، فإن الله محسنٌ يحبُ الإحْسان** »[(٣)].

٢ـ وورد في حديث شدَّاد بن أوس قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين أنه قال: « **إن الله عز وجل مُحْسنٌ يُحبُّ الإحسان، فإذا قتلتم فأحْسنُوا القتْلةَ، وإذا ذَبَحتُم فأحسنوا الذِّبْح، وليُحِدَّ أحدُكم شَفْرتَه ثم لِيُرِحْ ذَبيحتَه** »[(٤)].

---

(١) في المطبوعة: « إن الله مع المحسنين » وهو خطأ !.

(٢) « المفردات » (ص ١١٩).

(٣) سنده حسن، رواه ابن أبي عاصم في « الديات » (ص ٥٦)، وابن عدي في « الكامل » (٦/ ٢١٤٥)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان » (٢/ ٢١٣) من طرق عن محمد بن بلال التمار ثنا عمران القطان عن قتادة عن أنس به.

عمران القطان هو ابن داور قال أحمد: أرجوه أن يكون صالح الحديث، وقال أبو داود: هو من أصحاب الحسن وما سمعت إلا خيرًا، وقال النسائي: ضعيف، وقال الحافظ: صدوق يهم.

ومحمد بن بلال ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

وقال الحافظ: صدوق يغرب.

والحديث ذكره الألباني في « الصحيحة » (٤٧٠).

(٤) صحيح، رواه عبد الرزاق في مصنفه (٨٦٠٣)، ومن طريقه الطبراني في « الكبير » =

* المعنى في حق الله تعالى :

قال القرطبي : المحسن جل جلاله وتقدست أسماؤه ، لم يرد في القرآن اسمًا ، وإنما ورد فعلاً ، فقال : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ومعناه راجع إلى معنى المُفضلِ وذي الفَضل والمنَّان والوهَّاب(١) .

وقال : المُحْسن اسم فاعل من أحسن ، ولا خفاءَ بإحسان الله تعالى إلى خَلْقه ، ومَنِّه عليهم بما غَمَرهم من الإحْسان والفَضل والجود والإنعام (٢).

وقال ابن العربي : وأما مُحسن ومُجْمل ومفضل ، فلم يرد بها توقيف(٣) ولكنها ألفاظ كريمة المعاني ولا يسمَّى إلا بما سمَّى به نفسه ، أكثر من أن الفعل منها قد جاء ، والتصريف لها قد وَرَدَ ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وجاء في الحديث « جميل » وقيل أنه بمعنى : مُجمل .

وجاء : ذو الفضل العظيم (٤).

= (٧/ ٧١٢١) عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد به .

ورجاله ثقات رجال الشيخين ، سوى أبي الأشعث الصنعاني واسمه شراحيل بن آدة فمن رجال مسلم .

وأصله في صحيح مسلم ، فقد رواه (٣/ ١٥٤٨) عن إسماعيل بن علية عن خالد الحذَّاء عن أبي قلابة به ، بلفظ : « إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة ... » الحديث .

(١) « الكتاب الأسنى » (٢/ ورقة ٤١٤ أ) .

(٢) المصدر السابق (٢/ ورقة ٤١٤ب) .

(٣) كذا قال ! وقد مرَّ معك ثبوت الحديث في « المحسن » .

(٤) « الكتاب الأسنى » (٢/ ورقة ٤١٤ أ) .

وقال المُناوي في قوله ﷺ : « **إن الله تعالى محسن** » أي : الإحسان له وصفٌ لازمٌ لا يخلو موجودٌ عن إحسانه طَرْفَةَ عين ، فلابدَّ لكل مُكوَّن من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد [1].

*** من آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ ربنا تبارك وتعالى هو المُحسنُ الذي غَمرَ الخلق جميعًا بإحسانه وفضله ، برهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، لاغنىً لهم عنه طرفة عين، ولا قيام لهم ولا بقاء إلا به سبحانه وبجوده وإنعامه ، ولو غفل عن ذلك الغافلون، وجَحَد به الجاحدون، وأعْرض عن شكره العاصون .

وللأُقليشي توسع جميل في بيان الجود والفضل والإحسان وأنواعه على الخلق ، إذْ يقول : وذلك ينحصر في ثلاثة أقسام : قاعدة وواسطة ومُتممة.

● أما القاعدة : فتشتمل من الإحسان والمن على ثلاث شعب :

الأولى : إخراجه من عدمٍ إلى وجود ، بمقتضى صفة الكرم والجود، وقد ذكَّره بهذا في مَعرض الامتنان ،فقال جل وعز : ﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا** ﴾ [الإنسان: ١].

الشُعبة الثانية : بعد خلقه تصويره في صورة آدم ، وهي أحسنُ صورِ العالَم ، وقد امتنَّ عليه بذلك في قوله : ﴿ **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٤] إلى غير ذلك من الآي المتكرره في هذا النوع .

الشعبة الثالثة : جَعْلُه إياه عاقلاً لا معتُوها ولا سفيها حتى يمتاز من البهائم ، وقد ذكَّره بهذا الثَّناء فقال : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ** ﴾ [الإنسان: ٣].

وقال : ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ [البلد: ١٠].

---

(١) « فيض القدير » (٢/ ٢٦٤) .

وقال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ [النحل: ٧٨].

إلى غير ذلك من هذه الأمثلة .

● وأما الواسطة فهي للقسمين رابطة ، ويشتمل من الإحسان والإنعام والمنِّ على ستِ شُعب :

الأولى : هدايته إياه للإسلام .

وهذا أعظمُ الإحسان والإنعام ، وهو المراد بما ذكر في القرآن من الهدي والنور ، والشَّرح للصدور ، وغير ذلك من هذا النوع[1] .

الثانية : إحسانه إليه أن جَعَله من أُمةِ محمد عليه السلام : خير الأنبياء وخير الأمم ، وعلى هذا نبّه بقوله : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي : كنتم في الغيب حتى خرجتم إلى الوجود علي وفاق العلم .

الثالثة : إحْسانه إليه بأن حفِظ كتابه العظيم حتى يكون مُعبِّرًا عن كلام ربه بلسانه ، وراغبًا إليه بجنابه ، وهذا من أعظم إحسانه ، وقد قال ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] أنه القرآن .

الرابعة : عَلَّمه بعد حفظه من معانيه ، ومن شريعة نبيه ، ومن حقائق علمه أَثَرًا ونظرًا ، وقد قال تعالى : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

---

(١) قال القرطبي هنا : قلت : ومن هذا المعنى ما روي عن وهب بن منبه قال : رؤس النعم ثلاثة : فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمةٌ إلا بها . والثانية : نعمة العافية التي لا تطيبُ الحياةُ إلا بها . والثالثة : نعمة الغِني التي لا يتم العيشُ إلا بها .

الخامسة : ما أحسنَ به إليه ، وأنعم عليه من : العمل بما علَم ، وهذا هو ثمرةُ العلم ، وقد قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

السادسة : إحسانه إليه وتوفيقه حتى يَنْشرَ ما علم في عباده ، ويكون نور بلاده ، يُسْتَضاءُ بسِراجه ، ويُقْتَفَى واضحَ مِنهاجه ، وبهذا يَستحقٌّ أن يُدْعى عظيمًا في مَلكوت السماء ، ويكونَ من أشرافِ العلماء الوارثين للأنبياء .

● وأما المتمِّمة : فهو ما أنعمَ به عليه ، وأحسنَ إليه ، من إظهارِ عَوارف ، وإدْرار لطائف ، شرفَ بها نوعَه ، وأكمل بها وَصْفه ، ويشتمل على أربع شُعبٍ :

الأول : ما أنعمَ به عليه : من كمال الصُّورة ، واعتدال الخِلْقة ، وفصاحة اللسان ، وسلامة الهيئة من تشوهٍ ، ونقصِ عضوٍ ، ولحوقِ خَلَلٍ ، حتى يبقى صحيحًا سليما ، ويسلك من طاعة الله طريقًا قويمًا ، وتستحْسنُ الأبصار والبصائر صورتَه ، ولا تمج الطباع خلقته ، وهذه نعمة من الله عليه ، وهي مَوهبةٌ وخصوصية .

الثانية : ما أنعم به عليه : من انْتظامِ الحال ، واتِّساعِ المال ، حتى لا يحتاج إلى أحدٍ من الخلق في اكتساب الرزق ، ويحتاج إليه غيره فيعُمهم خيره ، وهذه نعمةٌ يجب شكرها ، إذْ ليس كل أحدٍ يُعطاها .

الثالثة : ما أنعمَ به عليه : من عصبَةٍ وعَشيرة وأصحابٍ وأتباع ، تألَّفت قلوبهم على محبته واصطفائه ، وقاموا جُنَّةً بينه وبين أعداءه ، فلم يطرقه من الأعداء طارق ، بل عاش في أمنٍ من جميع الخلائق ، يُنْظر إليه بعَين الإجْلال والوقار ، وتقضى حوائجه في قطره وفي جميع

الأقطار، ويثني عليه الحاضر ، ويفخر بذكره الأعاصر .

الرابعة : ما يُنعمُ به عليه : من المرأة الصالحة الموافقة ، فتسكن إليها نفسه ، ويتم له بها أُنْسه ، ويكْثر منها نَسْله حتى يكونَ من ذُريَّته في أمة محمد ﷺ عَدَدٌ وَافر ، وكلُّهم لله موحدٌ ، ولآلائه ذاكرٌ شاكر ، فَيَشْتَدُّ بهم في الدنيا أَزْره ، ويحبط بهم في الآخر وِزْره .

قلت (أي القرطبي) : وشعبة خامسة : وهي ما أنعمَ عليه من صحة الجسم ، وفَراغِ البال ، قال ﷺ : « **نِعْمتان مَغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ** » خرجه البخاري [١][٢].

٢ ـ ذكرنا مراراً أن الله تعالى يحب من خلقه التعبد بمعاني أسمائه وصفاته ، فهو عليم يحب العلماء ، جميل يحب الجمال ، محسنٌ يحب الإحسان ، ولذا كتب الإحسان على كل شيء حتى في القتل والذبح [٣].

قال سبحانه : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [المائدة: ١٣].

والإحْسان نوعان : إحسانٌ في عبادة الله تعالى وهو « أن تعبد الله تعالى كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » كما جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور .

وإحسان إلى عباد الله تعالى، وذلك بإيصال جميع أنواع الخير لهم، وكليهما قد وعده الله تعالى بالثواب فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [التوبة: ١٢٠].

قال ابن القيم رحمه الله في بيان أسباب شرح الصدر : ومنها :

(١) البخاري في أول « الرقاق » (١١/ ٢٢٩) .

(٢) « الكتاب الأسنى » (٢/ ورقة ٤١٤ ب ـ ٤١٦أ) .

(٣) فأمر الرسول ﷺ بأن تحدَّ الشفرة وتُشحذ لئلا تؤذي الذبيحة ، وأن لا يكون ذلك أمامها ، وأن يريح ذبيحته فلا يربط قوائمها ، [illegible]سوقها سوقًا جميلا .

الإحسان إلى الخَلق ونفعُهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن ، وأنواع الإحسان ، فإن الكريم المحسنَ أشرحُ الناس صدرًا ، وأطيبهم نفسًا ، وأنعمهم قلبًا ، والبخيلُ الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدرًا، وأنكدهم عَيشًا ، وأعظمُهم همّا وغما .

وقد ضرب رسول الله ﷺ في الصحيح مثلاً للبخيل والمتصدِّق ، كمثل رجلين عليهما جُنَّتَان من حديد ، كلَّما همَّ المتصدِّق بصدقةٍ اتَّسعت عليه وانبسطت حتى يَجُرَّ ثيابه ويُعْفي أثَره ، وكلما همَّ البخيل بالصدقة ، لَزِمَتْ كلُّ حَلقةٍ مكانها ، ولم تتَّسع عليه [1].

فهذا مَثَلُ انشراح صدر المؤمن المتصدِّق ، وانفساح قلبه ، ومثلُ ضيق صدر البخيل وانحصار قلبه [2].

٣ـ ومن أعظم الإحسان إلى الخلق : تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ، ويكون سببًا في نجاتهم في الدنيا والآخرة ، من علوم الكتاب والسنة وفقه السلف، وإرشادهم إلى طرق الخيرات والقربات، وتحذيرهم مسالك الشرِّ والهلكات، وهي وظيفة الرسل وأتباع الرسل، وبهذا كانوا أعظمَ الناس إحسانًا إلى الخلق ، ولهم عليهم من المنة والفضل مالا يُؤدى شكره .

قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

* * *

---

(١) هو معنى حديث أخرجه البخاري في مواضع أولها في « الزكاة » (٣/ ٣٠٥) ، ومسلم في «الزكاة» (٢/ ٧٠٨ ـ ٧٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) « زاد المعاد » (٢/ ٢٥ ـ ٢٦) .

الفهـــــــــــــــــارس

* فهـرس أطراف الحديث .

* فهرس المواضيع .

فهرس أطراف الحديث

حرف الباء

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
حرف القاف		
قال الله عز وجل إني لأستحي من عبدي	أنس	١٠٤
حرف الكاف		
كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقا	أنس	٤٢
كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها	البراء	٤١
كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء	أبو سعيد	١٠٨
كان ربعة من القوم	أنس	٤١
كان النبي ﷺ مربوعًا	البراء	٤١
كل أمتي معافى إلا المجاهرين	أبو هريرة	١٠٤، ١١٧
الكمأة من المن	سعيد بن زيد	٨١، ٩٧
حرف اللام		
لكل داء دواء	جابر	٢٤
لله تسعة وتسعون اسمًا	أبو هريرة	٤٧
لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا	ابن عمرو	٤٢
لو يعلم الناس ما في النداء	أبو هريرة	٦٢
حرف الميم		
ما أنزل الله داء	أبو هريرة	٢٤

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة